حروف للحياة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ،لا يُسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه. ولا يُسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من المؤلف.

الطبعة الأولى

٢٠٢١م

المملكة الاردنية الهاشمية

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

٢٠٢١/٣/

الخثلان : جواهر بنت محمد

عنوان الكتاب: حروف للحياة

اسم المؤلف : جواهر بنت محمد الخثلان

عمان: دار الجنان للنشر والتوزيع ٢٠٢١

الواصفات: ...../

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن راي دائرة المكتبة الوطنية او أي جهة حكومية اخرى.

ISBN ٩٧٨ - ٩٩٢٣ -٠٠ -٠٠٠ -٠ (ردمك)

دار الجنان للنشر والتوزيع

المملكة الأردنية الهاشمية - عمان – العبدلي – شارع الملك حسين

هاتف: ٠٠٩٦٢٦٤٦٥٩٨٩١ هاتف: ٠٠٩٦٢٧٩٥٧٤٧٤٦٠

E-mail: dar_ jenan@yahoo.com

حُروفٌ للحَياة

جواهر بنت محمد الخثلان

بسم الله الرحمن الرحيم

حروفنا حين ننثرها بمداد الحب, فكأنما هي خيوط من ضياء, نغزل بها أحلامنا على أديم سماءٍ أسدل عليها الليل دثاره, فبدت بالكلمات أجمل ما يكون .

هكذا هي الحروف حينما نصُفّها بإخلاص وعناية تعانق بياض الورق في حميمية متفردة، وهنا لا يمكن للكاتب أن يهمل حروفه أبدا, فهو يراقب تحركها بين مُقل القراء، وانعكاس بريقها على ملامحهم، فيُحلّق فخرا حين يبعثر أحزانهم، فيورق الفأل، ويصح السير والمسير، وتعشوشب حقول الأمنيات بأماني بيضاء تداعب أحلامهم .

بوح قلمي أبسطه بين أيديكم، ليعانق قلوبكم قبل أعينكم، دسست في ثناياه مشاعر وآمال وآلام وأحلام .

وقد آثرت أن يكون لي بصمة حتى وإن بهتت معالمها علّها تضيء بقبس من نور طريقا لمن عبرت أمام عينه، تشرق بها روحه وتبدو أمامه الحياة أجمل.

أحلام قيد الانتظار

ما بينَ أحلام صغيرة نرسمُها جلوسًا ونحنُ نرتشِف كوبَ قهوة نخبئُها بين طيات الترقب، إلى أحلامٍ عريضة ينبضُ بها القلب حركةً وسكونًا، نقبعُ خلف (ليتَ ولعلّ وعسَى)

فينا من يكتفي بأحلامِ اليقظةِ يلُوكها ليلَ نهار وكأنما يسترقه النظر نحو لوحة يقرؤها بائسًا(أَحْلَامٌ قَيْدَ الاِنْتِظَار) فلا يتقدم نحوها خطوة واحدة فيما يشبه الاستسلام فيقتاته اليأس ويمارس الإحباط حيثما كان!

وآخر أحلامه هشّة بيضاء رقيقة كالسحابِ يطيرُ لها حديثًا شغوفًا بالمعالي ولا معالي ولا علو له، قصوره في الهواء وأجنحته كأوراقِ الورد سرعانَ ما يداهمها الذبول!

وآخرُ يقف بأحلامه يناطح أقسى الجبال وأعلاها، لا يعرف اليأس طريقًا إليه مع ما يعترضه من عراقيلَ بشرية أبتْ إلا أن تستمدّ قوتها من تسلطها على الآخر!

مشكلة أحلام هؤلاء أنها تتوقف على أمزجة الآخرين، وارتبطت بأحد العراقيل البشرية البشعة إذْ لا مانع لديها أن تنسِف أحلامك بشرطة من قلم نَزِق لا يهتم لعقل أنهكه التخطيط، ولا قلب عشق المعالي، ولا روح تنتظر التحليق!

فحطموا حلمًا جبارًا تحوطه إرادة قوية، ذنبه الوحيد أنه مرّ في طريقه نحو تحقيق حلمه بمن يستلذّ بتمزيق أحلام الناجحين إرَبًا إرَبًا ! ويعيد صاحبه إلى المربع الأول والبدء من الصفر.

أحلامنا حديثُ أرواحنا وأمانينا وآمالنا التي نرفعها للسماء فتأتي محمّلة بأروع ما يكون من إنجاز كما رسمناها نحن، وكما نرقبها نحن، وكما سنعيشها نحن، وكما تعهدناها نحن بالمثابرةِ والمتابعةِ والرسمِ والتخطيطِ، وأرواحنا تتلهف لأن تراها واقعًا ملموسًا أنيقًا، فنحن من يصنعُ الأمل ويَصْبغ الأيام بألوانها الفرائِحيّة بلا كلل..

دعْ عنكَ البُؤساء المُحبطين الذين لا يُحسنون ارتداء حُلَل الفأل واحترام الأحلام، فلا حاجة لك بهم..

حين تركض نحو هدفك لا تلتفت إليهم..

قل لهم:

(تنحّوا جانبًا وافسحوا الطريق لِهِمَمٍ تعانق السماء تحملُ بين طيّاتها أحلامنا).

لن نقبل أن تكون أحلامنا قيدَ الانتظار وفق أهواءِ بُلهاء يرونَ الحلم جنون والإرادة تهور !

إيماننا عميقٌ جدا بأن أحلامنا وآمالنا وأمانينا سيبزغُ ضيائها وإن طال الزمان وأعمق الإيمان ما استند على تأكيد إلهي عظيم في الحديث القدسي ((أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنّ بِي مَا شَاءَ))

سنطلق أحلامنا ونسعى خلفها فالله لن يخذلنا.

دقيقة صمت

بعض المواقف تلجمنا فتُعطل لغة الكلام لـدينا إمـا, دهشـة أو ذهولا أو تعجب أو صدمة أو فرح وقـد يكـون حـزن أو ألم !

هنا يحل الصـمت الرهيـب الـذي يقتطـع مـن وقتـك برهـة فتصمت رغما عنك, وتقف عـاجزا عـن ردة الفعـل حتـى تستوعب الموقف وتعود لتعبر عنه بما يناسبه..

دقائق الصمت أحيانًا لا تأتي بغتة بل هناك مواقـف تفـرض علينا الصمت إما تأملا, أو احتراما, أو شـغفا, أو إعجابـا وليس تعجبا..

دقيقة وقد تكون دقائق الصمت.. في تأمل قدرة الرحمن على الخلق, والإبداع, والتصوير, وتدبير مافي السـماوات ومـا على الأرض..

دقائق الصمت.. ذهولا مـن هـذا الإنسـان الماثـل أمامـك, كيف يفكر ويتحدث ويتنفس ويتحرك؟!

ودقائق الصمت.. ذهولا أيضا إثر فقدان قريب عزيز!

دقيقة صمت.. في حضور الجمال, في انبلاج النور بعد حلكة الظلام..

دقيقة صمت.. وأذنك تطرب لحفيف أوراق الشجر, وخرير الماء وتغريد الطير..

دقيقة صمت.. شغفا بعذب اللتغ في لسان طفل يتعلم نطق الحرف فتكون الراء لام والشين سين !

دقيقة صمت.. إعجابا بذرية يتسابقون في أيهم أكثر برا بوالديهم وقربا لهم ورفقا بهم !

دقيقة صمت.. صدمة وأنت ترى من كنت تظنه القدوة قد تخلى عن مبادئه وأتى بما كان ينكره على غيره !

دقائق الصمت قد تطول حين يكون الموقف استثنائيا, أو مؤثرا بلْ مُوغلا في التأثير, تكتفي حينها مع الصمت إما أن تفغر فاهك تعجبا, أو بإيماءة أسف, أو تنهيدة حزن !

دقائق الصمت تُحترم أياً كان سببها إذْ تُعد تعبيرا مسالما وأنيقا يعتنقه أكثر الناس لطفا..

وقد تأتي كرسالة رفض لتصرف همجي, أو بذاءة في اللسان يترفع الشخص السويّ عن مجاراتها فتحضر دقائق الصمت كالشراع الأبيض يتلقف السوء ويحيله إلى حسن وجمال.

الناس والحياة

(الحَيَاة) هذا اللغزُ العجيب الـذي لمْ يسـتطعْ أحـدٌ أن يفـكّ شفرته !

قدْ يراها بعض اللاهثينَ بحثًا عن الكسبِ لعبةً جماعيةً، الفـوزُ فيها لشخصٍ واحد، فتراهُ منهمكًا في الركضِ حتى ولو على جماجمِ غيرهِ، المهم أن يكسبَ وبكلّ الطرقِ المشـروعةِ وغـيرِ المشروعة !

وهنـاكَ حـالمون يـرون أنّ الـدنيا بسـتانٌ متنـوعُ الأزهـارِ و الأطيارِ، فيحيون متنقلين بينَ الأفكار، مُوغلون في الملـذات، فلا يستيقظُون إلا على صدمةٍ تهزّ أركانهم، وتعيدهُم لجـادةِ الصواب !

وهناكَ عقلانيونَ يعلمونَ أن الحياةَ كفـاح، يحفـرونَ الصـخرَ لكي ينجحون، غير آبهينَ بـرأي الآخـرينَ فـيهم ! إذْ اعتـادَ بعضُنا على انتقادِ الآخر حين ينهمكُ في صنعِ ذاته، وتكوينِ نفسهِ بصورةٍ مُلفتة، فيبدؤونَ في انتقـادِ أسـلوبِ حياتـه إمـا حسدًا أو غِيرة !

الحياةُ ليستْ سهلةً على الإطلاقِ، والنجاحُ فيها متنوعٌ ومتباينٌ أيضا ..

فقدْ يعتقدُ البعض أنّ النجاحَ هو الكسبُ المادي، والآخرُ في الشهرةِ، وثالثٌ في الوظيفةِ، ورابعٌ في الاستقرار ..

كلّ شخصٍ يرى الحياةَ بعينهِ ومنظارهِ هو، فالتعيسُ يراها بائسةً، كئيبةً، رماديةَ اللون !

والسعيدُ يضربُ الأمثالَ في جمالِ الحياةِ وأناقتها، وبينهما صاحبُ المنطقةِ الباردة، يومًا محلقًا، ويومًا آخر يئنّ في القاعِ يندبُ حظه !

الحياةُ رحلةٌ قصيرةٌ نُسيرها وكأنما نحنُ في قطارٍ سريعٍ نعلمُ جميعًا محطتهُ الأخيرة، ولكننا نتجاهلُ ونعيشُ اللحظة !

والعاقلُ من صنعَ لنفسهِ محطاتٍ يتوقفُ فيها للتزودِ بالزاد، ومصباحٌ يضيءُ له الطريقَ، فليسَ بالضرورةِ أن يُقاسمك الحياةَ أحدَهم لتنجح !

فكم من وحيدٍ سارَ حثيثًا فصنعَ نفسهُ، وخطّ مستقبلهُ فوصل .. وكم من جماعةٍ شتَاتها وتفرّقها كان في اجتماعها وخلافِها واختلافها !

وقوفكَ على مسافةٍ مناسبةٍ من الآخرينَ فرصة جيدة لتراهم فتميز ما يناسبك منهم فتقربه أو تبتعد عنه وما يعتنقه من أفكار وبهذا تسْتطيع أن تحْيا حياتكَ التي تريدُ دونَ منغصاتٍ من أحد.

الهزيمة النفسية

أرواحُنا سرٌ وجودِنا في هذهِ الحياة، نتعلقُ بها لنعيشَ، وتتعلقُ بالآمالِ لتحيا حياةً هانئةً مستقرةً، نطوي أضْلاعنا على قلوبٍ مرهفةٍ تنشدُ السلامَ والسكينةَ، ولكنْ يأتيها من يعبث بأمانِيها ويبعثرها، ويُعكر صفوَ أجْوائها بما يفتعِله من حروبٍ خاسرةٍ لكلا الطرَفين !

قدْ نُهزمُ في معركةٍ حربيةٍ، أو فكريةٍ، أو كلاميةٍ، أو منافسةٍ في أي مجالٍ كان، فتتْرك أثرَها مؤقتًا إمّا بخسارةٍ في الأرواحِ التي لا تعوّض وهذه مُصيبة لا ندرك أبعادها إلا بعد فوات الأوان، أو ممتلكاتٍ ومُكتسبات شقِينا لنأتي بها، لكنْ أن نُهزمَ هزيمةً نفسيةً فهذهِ خسائرُها طَويلة الأمدِ، قاسِية النتائج!

الهزيمةُ النفسيةُ أن نستسلمَ طواعيةً لما يرادُ بنا، أن لا نُقاوم، أن نتقبلَ ما يُطرح علينا، بلْ ونتبناهُ ونرعاه..! وكأنّه أصلٌ لدينا..! بينما هي دسائسُ خبّثت بعنايةٍ في قوالبٍ من الأحلامِ المدهشةِ أحيانًا، ومنَ النّصح أحَايين، ونحنُ

مأخوذونَ بما يْبدو لنا، منبهرين بـه، تطوينـا اللّيـالي وتربـتْ علـى عقُولنـا لتستسـلمَ في دعـةٍ وسـكونٍ لمـا نظـنّ أنّ فيـه صالحنا!

الهزيمةُ النفسـيةُ.. أقسـى وأخطـرُ مـن أيّ هزيمـةٍ أخـرى قـد تواجِهنا، إذْ حينَ نُسَلِمُ عقولنَا لأحدهِم ليعيـثَ فيهـا فسـادًا فيحيـلُ قُوانـا الإيمانيـة ,وثوابتنـا, ومَبادئنـا, إلى مـا يشـبهُ فقاعاتِ الصابونِ لا تكادُ تتضخمُ حتى تنفجرَ وتختفي! فإننا نُقِرُ بهزيمتنا أمامه، فكانَ لابدّ من مواجهـةِ هـذهِ الهـزائم أيًـا كانَ نوعها، وذلكَ بالإيمانِ القويّ والثابـتِ بصـحة مـا نحـنُ عليه، وامتلاكِ اليقينِ بـأنّ مـا كتـبَ اللهُ لنَـا سيصـلنَا، ومـالمْ يكتبْ فلنْ نطالهُ ولو جيّشنا له جيوشَ الأرضِ قاطبة ..

ثمّ إنّ من أبرزِ أسبابِ الهزيمةِ النفسـيةِ: إهمـالُ بنـاءِ الجانـبِ الرُوحي المستقيمِ الواثـقِ بربـهِ فـالخواءُ الرُوحـي يجعـلُ مـن الإنسانِ ضعيفًا هشًا يحيى كقالبٍ يتقبلُ ما يسـكبُ فيـهِ بـلا تمحيصٍ ولا تدقيقٍ !

كما وأنّ الاستقرارَ الأُسري السوّي لهُ أكبرُ الأثرِ في إحاطَتنا بكلّ ما يمكنهُ أن يحفظَ علينَا قُوانا العقليةُ والذهنيةُ، لا سيّما وأن كلّ بيتٍ من بيوتِنا وبكلّ مرارةٍ تحتضنُ في جنباتِها أخْطر عصابةٍ لصوصيةٍ، لصٌ الأوقاتِ التي أهدرْناها في متابعةِ التافهين، ولصٌ العلاقاتِ حينَ أهملْنا أحبّتنا ووالدينا، ولصٌ الحركةِ حينَ رافقْنا الزّوايا وحُجرات المنزل، ولصٌ الأمراض التي حطّت رحَالها في عقُولنا قبلَ أجسادنا، تلكَ الأجهزةُ الصغيرةُ التي نتباهى بوجُودها بينَ أيدينا وهي تسرقُ منا كلّ جمالياتِ الصحةِ والوقتِ والعلاقات ..

الهزائمُ النفسيةُ.. لا تأتينا مباشرةً بلْ تزحفُ بهدوءٍ كثعبانٍ صلٍّ أسودٍ ينفثُ سمومهُ المدمّرة في أرواحِنا فتقتلنَا أحْياء، ونموتَ واقفينَ كباسقاتٍ قُطع عنها الماء ..

الهزائمُ النفسيةُ.. يمكنُ أن نتلافاها بلْ ونستطيعُ أن نقفَ في وجهِها وذلكَ بتطويرِ القدراتِ الشخصيةِ كالذكاءِ، والفطنةِ، وسعةِ الاطلاعِ، والدعاءِ، والإلحاحِ فيه ..

قوةُ الأرواح، وثقتُها بالله، ثمّ بذاتها، مفتاحٌ لدحرِ الهزائمِ أيًا كانَ نوعها.

تجاوز اللحظة

في رسالة إيجابية قصيرة قد تقرأ أو تسمع عبارة :

(عِش اللحظة) في محاولةٍ لانتشالك مما قد يؤرقك أو يُدمي قلبك، واقتناصًا للحظاتِ السعادة التي قد لا تتكرّر كثيرًا.

من يُرسل مثل هذه الرسائل في التفاؤل بشر، قلوبهم مثل قلوبِ الطير سمحة ونقية، هذا ما يراه الناس الأسوياء، بينما يراهم الآخرون سذّج وحمقى، وهؤلاء توغّلوا كثيرًا في السوداوية والإحباط، يتوجسون خِيفةً من الفرح، ويترقبون المصائب خلفَ كلّ ضحكة جميلة، يتعوذون من الاستغراق في السعادة، ويحذرون من عواقبها!

هناك لحظات لو قُدِّر لنا أن نمحوها من الذاكرة لما ترددنا لحظة، ونُقيضها أيضًا لحظات تُسربلنا بالسعادة نستعيدها ونسترسل في الاستمتاع بها.

اللحظات وقفات من أيامنا ولياليا نقتنصها أحيانًا وتعبُر بنا أحيانًا.

هناك من يتبنى شعارًا جميلًا أخاذًا حين يتدثر رداء الناصح الأمين فيقول لك بكل هدوء ووقار:

(تجَاوَز اللحظَة)

هو يراكَ بقلبه لا بعينه فقط.

يراك حين تتعثر في موقف سخيف افتعله أحدهم عمدًا، هو يشعرُ بك حين تتلعثم خجلًا إثر لحظة إحراج لم تتوقعها..

هو يلحظك حين تَهمِي من عينِك دمعة ألم وحزن فيربّت على قلبك أنْ: تجَاوَز اللحظَة .

وتجاوُز اللحظة فنّ لا يُحسنه الجميع، فبيننا من يأخذه الغضب، ويُزلزلُ المكان، ويأتي بأسوأ ما يكون في معاجم المفردات، ويسقط في وحل الخطيئة.

ومنّا من تُغرقه الكلمة الجارحة حتى يتوارى خلف رعشة لا يوقفها إلا: تجاوز اللحظة..

ومنّا من تحجُب دموعه سحنات الوجوه حتى تتسلّل إليه تلك اليد الحانية فتمسحها أن: تجاوَز اللحظة..

هذا الفنّ الإنساني النّبيل يستحق أن نرفع لمن يتقنه القبعة، فهو كالغيمة المثقلة بعذب المطر حين تهمي تعشوشب الأرواحُ فرحًا والقلوبُ سكينةً.

تجاوز اللحظة بصمة تُطبع على قلوبِ المنكسرين فتجبرها، بل هي ثقافة يؤمنُ بها أجدر الناس بالنبل والإنسانية.

تجاوز اللحظة ..

لحظة فاصلة في حياتك بين أن تكون محلقًا مستبشرًا، أو تكون بقايا أنقاض لإنسان.

كن سكرا

في جنوب أفريقيا مثل يقول :

(لا تطلب من الملح أن يكون سكرًا)

بالتأكيد الأمر ليس موجها للملح بقدر ما هو تنبيه لك أنت ولها وله ولنا جميعا، أن لا نطلب بتغيير الطباع والسلوكيات في غمضة عين!

فالمثل العربي عندنا يقول :

(الطبع يغلب التطبع)

قد يتبادر إلى أذهاننا أنه مهما حاول شخص ما أن يغير طباعه فلن يستطيع، فطبعه الأصل يغلب تطبعه المكتسب !

نعم ليس بالأمر الهين أن يغير الإنسان طباعه وسلوكه بالسرعة التي نتوقعها منه، ولكنه ليس مستحيلا ..

أنت إنسان طيب جدا ولطيف جدا ليس سهلا أن نجدك بين عشية وضحاها وقد أصبحت شخصا آخر سليطا وعنيفا !

هذا لا يعني أن لا إمكانية للتغير بل هو وارد جدا ولكن ليس سهلا، ولعل الصدمات أحيانا تكون سببا في تغيير

الطباع، ونرى ذلك واضحا في سحب الثقة من الآخرين حين يُقْدم أحدهم على خداعك بعد ثقتك المطلقة به..

أيضا تلحظ ذلك في تربية الوالدين للطفل على التدليل المبالغ فيه, وبمجرد خروجه للمجتمع المحيط كالمدرسة مثلا, يواجه صعوبات جمّة في التأقلم مع الوضع الطبيعي، ويكون سلوكه مغايرا لما يجب أن يكون عليه كما هي الحال مع أقرانه، وهنا تبدأ معاناة الوالدين في محاولة تغيير الطباع فيصعب عليهم إقناعه بتغييرها مما قد يؤدي به إلى أمراض نفسية مزمنة للازدواجية في واقعه..

لا تُفرط في مسألة التعود أو التعويد على طبع معين يصعب عليك التخلص منه، فالعصبي يظل عصبيا, والعاقل سيظل عاقلا, مالم يأتِه ما يخرجه من فلك عقله ودائرة اتزانه.. وهذا يسمى تغيير تحت الضغط أو التغيير الإجباري وهو تغير بلا قناعة، كأن تضطر إلى مسايرة أحدهم بلا وعي ولا إدراك فقط للتخلص من الضغوط أو لعدم القدرة على المواجهة والتغير، هذا غالبا يكون مؤقتا لا تلبث أن تعود إلى طبعك الأساسي فالطبع يغلب التطبع (للمستسلمين من

اليائسين فقط) بينما أصحاب الإرادة القوية والقابلين للتغير الإيجابي بإمكانهم إحداث التغيير للأجمل.

وقد يطرق عقلك عدة تساؤلات عن طباعك وطباع غيرك كأن تسأل نفسك كيف يمكن التعايش مع شخص عصبي أو أحمق أو حتى بخيل ؟

وهل يمكن للآخر أن يتقبلني لو كانت هذه طباعي ؟!

و هل يجب علينا الاستسلام لطباعنا السيئة؟

أفلا نجاهد أنفسنا لاستبدالها بالأجمل ؟

الآخر ليس ملزما بتقبلك وقبول طباعك السيئة فلا تغضب منه وفتش في نفسك لعلك تجد الخلل فتسده وجاهد نفسك أيضا وبقوة لتبدو أمام نفسك والآخر بصورة جميلة!!

إذْن كُنّ سُكّراً..

وهذا ما حث عليه ديننا الحنيف فحسن الخلق هو النبع المتدفق سلوكا حسنا وطباعا أنيقة.

الإيحاء النفسي

دعونا نبدأُ مقالنا هذا بقصةٍ عجيبة..

يُحكى أنّ سيدة كانت تتناول الغداء مع أسرتها، وفجأة توهمت السيدة أنّ عظمَ سمكة صغير قدْ عَلق في حنجرتها وأنها ستموت، ممّا اضطرّها للذهاب إلى المستشفى، و رغم أنّ مجموعة من الأطباء أكدوا على عدم وجود أثرٍ للعظم، إلا أنّ السيدة مصرّة !

وبدأت تدخلُ في مرحلة الانهيار النفسي، حتى تدخّل أحد الأطباء بذكاء، وأتى بملقطٍ صغير أخفى فيه عظم سمكة، ثمّ تظاهر أنه وجد العظم وبدأ في استخراجه حتى وضعه أمامها .

هنا فقط بدأت السيدة تتحسن، وعادت لحالتها الطبيعية ..

الطبيبُ الحاذق لمْ يفعل شيئا إلا أنه ساير عقلها وما أوهمها به .

هنا يبدو لنا ضَعف الإنسان !

كلنا معرض لأنْ يحطّ على صدره طائر الوهم، وينشب مخالبه في عقله وتفكيره، ويسلبه إرادته، لاسيّما حين يكون هذا الطائرُ على هيئة إنسان يتدخل عنوةً في تشكيل شخصيته، ويبدأ في التأثير عليه، وإقناعه بما يريد وبأساليب قد تكون مباشرة أو غير مباشرة، والأمثلة هنا كثيرة ..

كأنْ يُصر الأهل على أنّ أحد أبنائهم عصبي، ويتحدثون بذلك أمام الجميع وعلى مسمعٍ منه !

وهنا يبدأ الابن في تلبس دور العصبي، فتراه يثورُ لأتفه الأسباب، يفتعل ما يشعر الجميع أنه عصبي ! وهو يعلم أن هناك من سيبرّر له، فتكبر معه الصفة ويدفع ثمنها مستقبلا..

وهناك أمٌ رؤوم تخشى على ولدها الصغير من الناس، من الطريق، من المرض، وتذكره دائما بضرورة الحرص وتحاشي الآخرين، وأن لا يُقدم على شيء خشية أن يؤذيه، فتُكرّس لديه الاتكالية، والخوف، والضعف، فينشأ ضعيفا خاويًا مهزوزًا ! وهناك مجاميع الأصدقاء حين يُلبسون أحد الرفاق

(المرهفين) حُلة (النفسية) وبلا إدراك منه أو وعي يعيش الدور بجدارة !

وهناك معلمة إن تكرّر الخطأ من طالبة عنّفتها، وكرّرت على مسامع الجميع أنها غبية لا تفهم ! متجاهلةً الفروق الفردية، وأنها قد تبدع في شيء آخر فتدمّر نفسيتها..

الإيحاءُ النفسي.. سلاح ذو حدين، فإما أن يكون علاجًا ناجعًا لكثير من الحالات المصابة بالرُهاب والفوبيا..! كما في سيدة عظمِ السمكة، أو أنْ تكون ساحة في اللّاوعي يستغلها الجهلة والمنتفعون بالتأثيرِ السلبي على الضعفاء ومسلوبي الإرادة..!

الإيحاءُ النفسي.. يمكن استخدامه كتقنيةٍ علاجية إن صح التعبير، إذْ حين تثق بنفسك، وتحاورها وتشد من أزرها، وتتجاوزُ بها عقَبات الخوف والخجل والتردّد بالإيحاءِ لها أنكِ الأقوى والأفضل، ستتمكن من التحليق..

وعيُ الإنسان وقدرته على رفض كل الإيحاءات السلبية من أي شخصٍ كان، له ارتباطٌ وثيقٌ بعقله، وبما يختزنهُ في

ذاكرته، وهنا يتوجب عليك صنع ثوابت عقلية، وذكريات قوية غير قابلة للتأثر بالإيحاء السلبي المدمّر، لا سيّما وأن الزمن أصبح مخيفًا جدا ولا نجاة إلا بالثبات..

أيقِنْ بـ :

((إِنّ اللّهَ لاَ يُغَيّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ)).

تحدث بالصمت

الصمت هيبةٌ ووقار هكذا تعلمنا، والأمر الطبيعي أن تتحدثَ ليفهمك الآخر، لكن أن تصمتَ وتُفهَم !

فهذا تحدٍّ وفنٍّ لا يتقنه إلا النابغون ذو الكاريزما الخلاقة والمؤثرة..

الصمت حديثٌ لا تسمعه الآذان لا سيما حين يكثر اللّغط، وتدور رحى الحرب الضروس في النقاشات العقيمة..

الأشخاص الصامتون فئتين مختلفتين تمامًا، ولا يشتركان في شيء عدا الصمت الرهيب .

الفئة الصامتة الأولى.. يكاد يكون صمتها جُبنا أو غباء حين تسمع حديثا نزِقا مُستفزا، فتلتزم الصمت في استسلام وخضوع !

أو حين يكون صمتها بمثابةِ ركلة قوية لفرصة نادرًا ما تتكرر لانتشالها من حال سيء إلى حال أفضل بحجة الخجل والإحراج !

هنا يكون الصمت غباء وحمق..

والفئة الأخرى هي من تدثّرت بالصمت وقارا، وعمقا، وهيبة، فانتبذت بذاتها عن توافه اللغو وسقط النقاش وتفاهة الجدال..

صمتهم حديث أخاذ وآسر، لو دخلتَ لأعماقهم لذُهلت من جمالهم الداخلي، سحر صمتهم مدهش وبليغ، تصل رسائلهم بالنظرة والابتسامة وأحيانا بالدهشة..

هؤلاء لديهم فَراسة عجيبة، تستوقفهم الملاحظات الدقيقة حتى وإن لم يتفوهوا بحرف واحد، فهم يقرأون أحاديثك قراءة المتأمل الفطِن، لا سيّما حين يهمهم أمرك.. تعقيبهم مقتضب ولكنه دقيق ، اختصارهم تأكيد غير مخلّ وصمتهم قوة وثبات .

فاحذروا صمت من تحبون، واحترموا صمت من لا تحبون، فأولئك قد تأتي عليهم لحظة لا يستطيعون فيها الكتمان فيكون حديثهم مُدويا مُجلجلا كما كان صمتهم عميقا وآسرا .

الصمت لغة الحكماء، ودثار الوقار، ومنجاة للمتهورين، قد تقابل أحدهم يوما ما وقد تلتقيهم دائما فلا يلفتك فيهم شيء فتزدريهم .

هنا يتوجب عليك الحذر، فليس كل صامت غبي أو جاهل، كما أنه ليس كل متحدث عالم .

هناك من يرى أن الصمت عقوبة نتيجة لموقف يكون فيه غاضبا أو محبطا أو مصدوما !

وهذا نوع من الاحتجاج الاختياري السلبي و يعد ضعفا واستسلاما..

وهناك من يراه علاجا حين يلتزمه إثر حالة هيجان من أحدهم مما قد يؤجج الوضع، ويرفع وتيرة الجدال فيصمت وينحني للعاصفة حتى تعبر ويخرج بأقل الخسائر وهذا ذكاء وفطنة فالخير كل الخير في الصمت وما قلّ ودلّ.

شيء من خيال

صبارة تقبع في زاوية صغيرة في مركن نحاسي قديم, تبرز في مقدمته نتوءات تشكل صورة لزخرفة فنية متداخلة، بجانبها الأيمن طاولة صغيرة, يعلوها كتاب انكفأ على وجهه, وعن يسارها بَهوٌ ليس واسعا بما يكفي لعبور شخصين متجاورين، استطالت الصبارة حتى توقف نموها الطولي فقررت أن تختزن غذائها في جوانبها, فبدت وكأنما هي نافورة شمعية مهملة أذابت الحرارة أطرافها المتشبعة بالشمع، عايشت الصبارة كثيرا من الأحداث والمواقف اليومية تحت سقف هذا المنزل الذي لا تدري حتى اللحظة من أسكنها زاويته! إذ تفتق ساقها عن براعم صغيرة ما لبثت أن ذبلت وعلاها السواد، كانت ترى بما يشبه العين الدقيقة امرأة تجاوزت الستين من عمرها وهي تلصق قصاصة من ورق على باب خزانة عتيقة رصفت عليها العديد من الأغراض, دونت في قصاصتها موعدها في عيادة للعيون إذ لم تعد الذاكرة تسعفها لأن تحتفظ فيها بالمواعيد, وهناك صبي مشاغب, كثيرا ما دحرج كرته في وجه الصبارة الصبورة, وكثيرا ما أصاب برعما لها فكسره وأدمى قلبها !

ولا زال يتكرر أمامها رجل يأتي في نهاية كل مساء يلقي بلامبالاة كومة من المفاتيح على الطاولة الصغيرة وكأن مفاتيحه أثقل من همومه ومتاعبه, إنه رجل صبور جدا تظنه استوحى صبره من اسمها وحالها ! تلحظه جيئة وذهابا للقيام بشأنه بلا ملل أو كلل ودون الاعتماد على أحدهم ممن يقطن موطن الصبارة, إنها ترقبهم وترصد تحركاتهم تراقب فتاة خجولة رقيقة صبت جلّ اهتمامها بنباتات غرستها في مراكن ملونة..

في موطن الصبارة تواترت الأحداث ما بين حدث حزين ومؤلم, وبين فرح وابتسامات, كانت الصبارة خلالها تشرئب بعنقها لتكون كشاهد على العصر, تختزن في تلافيف ذاكرتها العصارية مشاهدًا وأحداثًا يتجاهلها السكان بقصد وبغيره فتفتح فمها دهشة من قدرة الإنسان على التلون, وتارة تغمضها أسفا وحسرة حين ترى دفن الحقائق بلا مبالاة، صبارة تمثل التاريخ في رصدها للأحداث ولكنها صامتة لا تستطيع أن تبوح أو تتحدث وقد يكون هذا ما يعجبها فليس كل ما يعلم يقال !

ترى لو تحدثت نباتات منازلنا فماذا عساها أن تقول ؟!

الذاكرة

كثيرًا منا يشتكي كثرة نسيانه، ويعزو ذلك إلى ضعف ذاكرته، وهو لا يدري أنه أهملها بل وملأها بالكثير مما يعتقد أنه مهم دون حرص منه على جدولة الأولويات فيها، فيجعل بعض الأمور تقفز من مكانها في الذيل لتتصدر المشهد العقلي لديه وتنسيه المهم .

للإنسان ذاكرتين إحداهما قريبة جدًا لا يتجاوز عملها الـ٣٠ ثانية، وهذه تبدو واضحة جدًا للذين يعانون من مرض الزهايمر حين يتذكر ما أمامه ليعود بسرعة لنسيانه .

وذاكرة بعيدة تعود بنا إلى زمنٍ ماضٍ وبعيد، نسترجع ما فيه من ذكريات، كذكريات الطفولة أو المواقف الموغلة في الحزن أو الفرح .

ويمكننا أن ندرج بين الذاكرتين ذاكرة مزدوجة، وهي تلك الذاكرة الدّارجة عند عامة الناس وتجمع بين القريب والبعيد، وغالبا هذه هي التي يعتمد عليها الجميع في تعاملهم الذهني اليومي والدائم .

الـذاكرة البعيـدة هـي الـتي نسـتطيع أن نـدلف إلى تلافيفهـا بأمزجتنا، وفينـا مـن يجعلـها ضـياءً يسـير بـه في أنفـاق مـن الإحباطات والانكسار ليعود للحياة مـن جديـد، وفينـا مـن تكبله هذه الـذاكرة حتـى تسـقطه بالضـربة القاضـية طريحًـا للأوهام والفشل .

مسؤولية ملء ذاكرتك أنت من يتحملـها فإمـا أن تسـتخدم فلتر لتنقية كل ما تود الاحتفاظ به وتبقي كل مـا هـو جميـل، وتستبعد المواقف المؤلمة والسخيفة أو على أقل تقـدير تجعـل كل أليم في ذاكرتك بمكـان آمـن لا يتسـلل منـه لعقلـك مـا يؤذيه وتكتفي بما تود أن تراه وتعيشه من لحظات تـدفع بـك للأفضل .

الذاكرة تضعف بالإهمال وعدم التدريب، وتراكم القناعات التي قد تحتاج إلى تهـذيب وإعـادة نظر،بـل والـذاكرة تشـيخ ويتسلّل إليها شبح الوهن والضـعف, تلتـفّ علـى مكونهـا (ومكون الذاكرة هو القـدرة علـى الاسـترجاع, والتـذكر, والحفظ, والمقارنة, والنباهة, والفهم) فتتلفه ويحلّ بدلًا من

ذلك النسيان, وعدم التركيز, ولـن نقـول الغبـاء والـبلادة فهذه قد تكون صفات مكتسبة .

ولعل أبشع ما يمكنه أن يُدمر ذاكرة الإنسـان بـلا إرادة منـه، الأمراض العقلية كالزهايمر والهذيان, وهذا أمر طبيعي جـدا و إن كان مخيفًا أيضا!

ولكن هل بإمكان الإنسان أن يؤخر تقـدم الـوهن والنسـيان ويمنعها من الوصول إلى ذاكرته؟ فتنشب براثنها فيها لتفتتهـا وتمسح كل ما علق فيها حتى أسماء أحب الناس والأمـاكن إلى قلبه .

مآثر ومثالب

حين يتناهى إلى سمعك أن أحدهم مات، أو رحل عن الديار، أو تقاعد من عمله، تبدأ ذاكرتك تستعيد ما كنت تعرفه عن هذا الشخص فتقلب الصفحات تبتسم وأنت ترى مآثره ومعالم بصماته الخيرّة قولا وعملا..

وتتألم لآخر لم يهتم لعثراته وسقطاته متعمدة أو عفوية، فصنع لنفسه سيرة فقيرة من المآثر!

لا شك أننا جميعنا سنكون هذا الشخص يوما ما إما بموت، أو رحيل، أو تقاعد، وهنا يأتي السؤال العميق للنفس: ماذا قدمتِ؟

لتحضر الإجابة المخدِّرة تخديرا موضعيا للضمير (قدمت وخدمت وعملت).

وتبدأ النفس الأمارة بالسوء في رفع سقف المآثر والأثر الحسن، والتقليل من شأن المثالب والعيوب خشية اللوم والتقريع!

الأثر ليس بالضرورة أن يكون حسنا دائما وهذا مؤسف جدا، إذْ يمكن أن يكون أثرا بشعا كالندبات في وجه صبية حسناء! وقد يكون جارحا أو مدمرا أو قاتلا..

فكما يفخر مهندس بناطحة سحاب أصلها في الأرض, ورأسها يعانق السماء, هناك آخر طوى الأمانة بين ثنيات النقود, فعبث بأساسات بناء خرِب رغم حداثته فانهار وتحول أنقاضا على رؤوس ساكنيه!

أيضا كما يكون للمعلم الجهبذ أثر حسن يبدو جليا في جيل متعلم ومبدع، هناك معلم آخر دمّر الطالب بقسوته ونرجسيته وعقده فترك بصمة مشوهة المعالم في نفوس الطلبة!

وقد لا يكتفي بذلك فيمتد أذاه إلى التحطيم, والتقليل من شأنهم, والتسبب في تركهم مقاعد الدراسة وضياع مستقبلهم..

والأثر أيّا كان نوعه لا يرتبط بجنس, أو جنسية معينة, ولا حتى بمكانة اجتماعية..

فكم من عامل نظافة أثره الحسن واضح وبيّن وهـو يمـارس دوره الوظيفي بكل إخـلاص فـلا وظيفتـه تحـول أن يكـون شخصا مثاليا متعلما أو حتى (إنسانيا).

بينما قد يكون مديرًا أو حتى شخصًا مرموقًا ولكنهـا مكانـة ورقية على النقيض منه تماما!

فتراه متغطرسًا سليطا أثـره السـيء مطبوعًـا بوضـوح علـى قلوب مرؤوسيه..

وهناك حطاب قلبه أقسى من فأسه حين يغرسـها في شـجرة تمدّ الأرض بالأكسجين ويطبع أثر فأسه على ما تبقى شاهدا على جهله!

وهناك دكتور آثر الغنى المادي على غنى النفس ومسح أثـرًا كان يمكـن أن يكـون علامـة إنسـانية تجمـل خلقـه كجمـال مهنته!

وليس هنـاك أسـوأ مـن شـخص تتحاشـى البقـاء معـه, أو الالتقاء به خشية لسانه وسوء طباعه!

الرحيل لا يستأذنك بالقدوم لكـي تسـتعد لـه فقـد يباغتـك على حين غِرة, ويطوي صفحاتك التي دُوّن فيها الكثير إمـا بمداد من دعاء لك، أو بعبارة (اذكروا محاسن موتاكم) .

المآثر والمثالب ضـدان لا يجتمعـان أبـدا, وأنـت مـن يختـار الرداء ليتدثر بـه, إمـا يزيـدك جمالًـا ووقـارًا، وإمـا يحفـر في قلوب الآخرين ذكريات عنك بشعة لا تنسى.

البين و بين

قد يبدو لكم العنوان غريبًا وغير مألوف، فما بين ما يكتب وبين ما يفهم مسافة قد تطول, كما أن المسافة قد تكون أقصر من المتوقع حين تتفق الرؤى رغم اختلاف التوجهات.

ما بين حالة شائكة معقدة وبين حالة واضحة وبسيطة, تكون هناك حالة متوسطة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فلكل شخص رأيه ومعتقده يختلف فيه مع الآخر وتحضر البين بين لتتوسط بين الحالتين وهي الحالة الأكثر اعتدالا.

من أمثلة ما بين وبين التأثير والتأثر فإما أن تكون شخصًا واعيًا مدركًا واثقًا, تؤثر في محيطك بما تراه, وتتبنى فلسفة إيجابية مؤثرة ترتقي بها وترقى بمن معك, وبين أن تكون متأثرا بالآخرين لا أثر لك ولا تأثير, بل قابل للتطويع والتسخير بما يريده الآخر فتميع هويتك وتصبح نسخة طبق الأصل منه سواء كانت نسخة مشوهة أو براقة, لتأتي بين الحالتين حالة الوسط التي تنتقي من هذا وذاك لتخرج لنفسها بالأفضل..

حالة أخرى تأتي البين والبين في الأخذ والعطاء, فبيننا من تعود على الأخذ بكل الأشكال والصور, لا يعنيه أن تكون مستطيعًا أو عاجزا, لا تؤرقه قدرتك أو احتياجك, اعتاد أن يكون واقفا على أنقاض الآخر, لا تجد في قاموسه مفردات البذل و الإيثار!

وبين صاحب البذل والعطاء المتدفق بلا حدود, فيكون أحمق أو أخرق, اعتاد صرف ما يملك حسيًا ومعنويًا بلا حساب, فاستهلك مشاعره, ووقته, ومادته, بكل سفاهة وغباء! فهو كمن يزرع في أرض يباس..

وفي حالة البين يبدو لنا التفاؤل والتشاؤم, إما قانط متأزم أضاع أجمل أوقاته في الخوف والحذر والترقب, وآخر أفرط في الفأل وطول الأمل, وتبقى بينهما مسافة ليست بالقصيرة..

أيضا البين والبين نراها بين الوفرة والندرة في العديد من مظاهر الحياة الظاهرة والباطنة, فما بين مؤمن بأن الخير في الناس ممتد إلى يوم الدين, والثقة بهم مسترسلة في حدود

المقبول, وبين منزوع الثقة بـالآخرين مهـووس بالشـك, لا يرى في الناس خير, ولا يُدرك أن الله يهَـب لمـن يشـاء مـن عباده الخيرية!

ومع تعدد البين والبين, تبقـى الأفضـلية للمنطقـة الدافئـة, منطقة الوسطية في كل شيء, منطقة التـوازن والاتـزان, إذْ حين تكون إنسانا متزنا بلا شك ستحرص علـى التـوازن في كل شيء فلا اندفاع مخل, ولا تراجع المُقِل, حتى في أبسـط الأشياء وأغلاها, مشاعرك لا تبذلها بابتذال يعتادهـا الآخـر فيستهين بـك ويُسـفهها, ولا تبخـل بهـا حـدّ الجفـاف فـلا تعيش لذّتها وصدقها ونقائها فقط كن حذرا لمن تبذل .

العصر العصبي

يقالُ أنّ لكلّ عصرٍ مسماهُ وفقًا لأبرزِ ما حدثَ فيه , هناكَ العصرُ الجاهلي، والعصرُ الفيكتوري، والعصرُ الحجري، حتى أصبحَ لدينا العصرُ الذهبي، والبرونزي، والنّحاسي، والخشبي !

ونحنُ في هذا العصرِ الذي يتسِم بالتسارعِ في كلّ شيء , وكأنّنا في عجلةٍ تدورُ بسرعةٍ رهيبةٍ وعجيبةٍ , لا يُمكننا معها التحقق ممّا ندورُ حولهُ أو يدُور معنا .

ذلكَ التسارعُ الذي يضغطُ وبقوةٍ على أعصابنا فيفُتها، و على قلُوبنا فيُنهكها، و على أرواحِنا فيُشتتها .

نحنُ الآن نعيشُ في (العصْر العصَبي) إن جازتْ التسمية، تكالبتْ علينا فيه الأهْوال، واضطربتْ فيه الأوضاع، وتغيرت قناعات !

عصرٌ طغت فيهِ المادة، وتراجعتْ القيم، حتى أصبحَ مِعيار التقييمِ للفردِ مقْدار ما يملكهُ من مال.. فضاقتْ النفوس، وارتفعتْ نبرةُ التعالي حينَ سادتْ قوة المال والجاه على

القيم والأخلاق ! حتى كدنا أن نعتاد على أصواتٍ كنّا نعدّها نشازًا تعتلي منابرَ الإعلام، ووحشيّة وجفَاء في التعاملِ مع الأضعَف، وازدراء وتشهير بالفقراءِ والمساكين، وتفاخر فجّ وممجُوج بالبذخِ في المناسبات، وسباق محموم في ميدانِ الغطرسةِ, والغرورِ بواسطة أشخاص تافهينَ لكنّه عصرهم !

التواضُع والبسَاطة قيمٌ سادتْ ثمّ بادتْ في هذا العصرِ المخيف، والذي يقذفُ لنا ما بينَ لحظةٍ وأخرى بجديدهِ الذي لم نستوعب ما سبقه بعد, فأصبحنا نلهثُ للحاقِ به حتى كلّت أرواحنا .

نعمْ .. إنه العصر العصبي تلك القوةُ الجبارةُ المتسارعة، والتي يجبُ أن نجابهَها بسلاحِ الثباتِ، والقوةِ، والعزمِ، والصبرِ، والإيمانِ، بأنّ الغلبةَ للواثقِ بنفسهِ ودينهِ، ثم يتوجّب علينا أن نفكرَ في تغييرِ استراتيجيّاتنا الخاصة، وبعضًا من أفكارِنا بما لا يتنافى وثوابتنا وقيمنا، كأن نفكّر كيف نعيش الحياة بتفاصيلها الصغيرةِ قبلَ الكبيرة ،فنضحَك من أعماقِنا، ونستبشِر ونعيش اللّحظة دونَ خوفٍ ممّا هو

قادم، لكيْلا نخسَر كـثيرًا مـن الوقـتِ والمتعـةِ ونحـنُ نترقـبُ حدوثَ الكارثة التي لا تأتي !

العصرُ العصبي أحالَ الكثير منّا وبكلّ مرارةٍ إلى آلةٍ متحركـةٍ لا تشعرُ بمضي الوقت، ولا تسْتشعِر جمَـال الأيـام والمحـيطين والأشياء .

بلْ سلبَ منا الهدُوء النفسي، والحِكمـة، والرّزانـة، إذْ يمكـن لأتفهِ الأسبابِ أنْ تقْتات على أعصابنا وصحتنا ..!

علينا أن نعود إلى ذواتِنا، نتفقَدها، نرمّمها، ونُعيد لها اتزانها، وتعايشها الفطريّ النقيّ مع مُحيطها لتبدوَ لنـا الحيَـاة أجمَـل، والأيّام أنقى، وفي كلّ القلوبِ مُتسع .

من أنت فيهم؟

تشكلُ الشعوبُ بدياناتها المختلفة، وتنوّع طقوسِها وعاداتها هويّة المجتمعات، فتتوارث الأجيال الإرث تلو الإرث، سواءً كان معتقدًا فكريًا أو أخلاقيًا، وقد يطرأ على الإرثِ بعضُ التغييرِ الذي ما يلبثُ إلا أن يعودَ لأصله، فالمجتمعاتُ تمرض ولنْ تموت حتى يأذنَ الله بذلك..

تختلفُ المجتمعاتُ في قوّتها، وقدرتها على الصمودِ أمامَ المتغيراتِ، حتى وإن هبّت رياح التغييرِ على كثيرٍ من مُكونها !

إذْ هناكَ مجتمعٌ سهلُ الاختراقِ يرزحُ تحت كثيرٍ من الأمراضِ، وآخر قويٌ متماسكٌ، يصدّ بكلّ ما أُوتي من قوةٍ موجَات التغريرِ والاغراءِ بالتغيير ..

أمراضُ المجْتمعات كثيرةٌ ومتنوعةٌ..

منها ما هوَ مفتعلٌ مُتسلّل يُقصد بهِ التأثير والتخريب !

ومنها ما هو ناشيءٌ من المجتمعِ نفسهِ نتيجَة ضعفِ إيمانِ أفرادهِ بما لديهمْ من مُقدّراتٍ معنويةٍ ومادية !

ومن أخطرِ الأمراضِ التي قد تنخرُ في المُجتمع: التعَالي من بعضِ أفرادهِ، والنّظر بدونيةٍ مقيتةٍ لمن هم أقلّ منهم وجاهة، أو مادة، متجاهلين أنّ الأفضلية هنا حدّدها الخالقُ تبارك وتعالى في قوله:{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}

من الأمراض الاجتماعية التي تبدو جليّة حينَ نلجأُ إلى تصنيفِ الناسِ، والحُكم عليهم من خلال: (قيل ويقال) هذا بخِيل، وذاكَ مجنون، وهؤلاءِ حمقى !

ويأتي مرضٌ آخر نُغفلهُ دائمًا ويَكاد يكون منتشرًا في أغلبِ المجتمعاتِ وهو:

(مرضُ التساؤلاتِ الغيرِ مبرّرة)

لماذا لم تتزوج؟ ما سبب طلاقها ؟

وغيرها من الأسئلةِ التي يجب أن لا تطرحَ احترامًا لخصوصيةِ الآخرين .

والأشدّ ضراوةً وأقسى حينَ نتصدّر الجلسات والاجتماعات، و نطلقُ ألسنَتنا لنقدِ فلان فنضَخم عيوبه، ونضعها تحتَ مجهرِ النقدِ اللّاذع، ويزداد الأمرُ سوءًا حين

نظـنّ أن ذلـكَ مـن بـابِ النّصـيحةِ سـواءً كـان في حضـورِ الشخْص فذلكَ تحطيمٌ وتقزيم، أو في غيابهِ وهذهِ غيبة منهيٌ عنها شرعًا .

لو قُمنا بالبحث في أنفسِنا لوجدْنا أنّ لدينا كثيرًا من العيوبِ تحتاجُ منّا وقتًا طويلًا لإصلاحها قبلَ أن يكشَف سترها..

فلماذا لا نبدأُ بأنفسِنا فنُصلحها ليتعافى المجتمع بأسْره ؟

الفردُ في المجتمعِ إمّا أن يكون صالحًا ومُصلحا قامةً ذو قيمـة، وإمّا أن يكون مريضًا ومُمرضا تافهًا بلا قيمة.

اكتشف نفسك

لعلّنا في موضوعنا هذا نسلكُ طريقًا آخر عمّا اعتدناهُ في طرحِ المواضيع السابقة، حيثُ سنتحدث فيه عن كيفيةِ اكتشاف الذات من خلال بعض التجاربِ الشخصية الواقعية، فالتجارب المُطبّقة أفضل في توصيلِ الفكرةِ من كثيرٍ من النظريات والفلسفة، لاسيّما وأن الحديث سيكون حولَ اكتشافِ النفس التي تحمِلها بين جنبيك ! فإما أن تقودك مغمضَ العينينِ إلى سراديبِ الظلام وإما أن تهذبها وترتقي بها لتعانق السحاب..

نأتي للدنيا لا نملكُ أيًا من المهارات الذاتية، وأغلبنا يقتلُ نفسه بإهمالها أو جلدها, وما علِم أن مفاتيح انطلاقها بيده فكلّ ما عليه العمل على تعزيزِ جوانبِ القوةِ وصقلها لديه..

أنتَ لستَ بحاجة إلى من يقوم بتحليلِ شخصيتك فقد يأتي لك بما ليسَ فيك فتدخل به متاهات الضياع، ليسَ هناك أصدقَ ولا أدق منك مع نفسك حين تقفُ على نقاطِ

ضعفك فتعالجها وتصنع منها طوقَ نجاةٍ لك في دروبِ الحياة..

ولا يعني هذا أن تتخلى عن الفرحِ بإيجابية تلحظها لدى أحدهم فتثني عليها وتعزّز له بما يجعله ينتبه لها فيسعى لتقويتها، كأنْ تكون قائدا أو مسؤولا، أو رئيسا أو والدا أو أمّا، ويلفِتك بروزُ أحد موظفيك أو أولادك في جانبٍ معين حتى وإن كان لديهِ من القصورِ ما لديه فتنبري له تعزيزا وإشادة، هنا ستلْحظ الفرق..

لعلنا نتذكرُ ونحن على رأسِ العمل أننا التقينا بالبعضِ ممن كان يظنّ أنه لا يمتلكُ من القدرات ما يجعله من الذين يُشار إليهم بالبنان، واكتفى بتأدية أدنى واجباته الوظيفية في استسلام مخلٍّ رغم إجادته لبعضِ المواهب البسيطةِ والمهملة، فتمّ تسليط الضوءِ عليها ومناقشته فيها لتعزيزها، أدركَ حينها أن في إمكانه تجاوزها بأفضلِ منها، بل اكتشف أن لديه مخزون هائل من المهاراتِ والقدرةِ المهملة..

من المهمّ جدا أن تتصالحَ مع نفسك وتتقبلها بكل ما فيها من عيوبٍ ومزايا وترضى عنها (بلا غرور) فالشعورُ بالرضى عن النفسِ أكبر محفز للتطويرِ، وخاصة في علاقاتك مع الآخرين، تقبل اختلافهم معك فالاختلاف أيًا كان نوعهُ يثري الحوارات والقناعات، ويفتح لك نوافذ مؤصدة..

لا تتوقف كثيرا أمامَ آراء الآخرين فيك، نعم جميعنا نحبّ الثناءَ والإطراءَ، ولكن لايجبْ أن تكونَ هذه هي الغاية..! إذ أن غايةَ الإنسانِ المدركِ العاقلِ أسمى وأرفع..

اكتشفْ نفسكَ بنفسك، واعملْ على أن تصنعَ لها كاريزما خاصة بها من حيث إنجازاتها ومهاراتها وتقبل الآخر لها، هناك في داخلك مناطق يمكنك زراعة الورود والرياحين بها فقط انزع منها أشواك تعترض طريقك نحوها واسقها ماء العزم والإرادة لتكون نفسك وارفة الظلال، لا تجعل من ظلام الإهمال يقتل بذور القوة لديك تعاهد نفسك بالتعلم والمحاولات لتكتشفها جيدًا.

لتبقى بساطتنا

البساطةُ جسرٌ يربطُنا بأصولِنا الإنسانية، فقدْ أتينا هذهِ الـدّنيا مُعدمينَ من كلّ شيءٍ متجردينَ من التعقيدِ والتكلفِ، نتـدثرُ بإنسانيّتنا ونُمدّ جذورَ الحبِّ للأرضِ لنحيَـا ونسـعدَ، وننظـرَ للحياةِ بواقعيةٍ وقناعةٍ، فلا نمنحُها أكْبر من حجمِها الطبيعـيِّ حتى نكبر وتبدأُ تتسـعُ دائـرةُ الطمـوحِ, وتمتـدُّ بنـا الآمـالُ ننطلقُ نحو غاياتِنا ..

وحينَ نبدأُ في صنعِ الوسيلةِ لـذلك تغزونـا جحافـلُ الطمـعِ تجرُّ معهـا أسـاطيلُ الغـرورِ والتخَلـي عـن سمتِنـا وهويّتنـا المتمثلة في بساطتنا !

عالمنـا اليـومَ عـالمٌ مضـطربٌ ومتحـركٌ يمـوجُ في بحـرٍ مـن المتغيراتِ المتلاحقةِ والمتسارعةِ، يغلبُ عليهِ القفـزُ بقـوةٍ نحـوَ التطورِ والمدنيةِ المبهرةِ، ممَّا استدعَى معَها أن يخلعَ البعض منّا بكلِّ أسفٍ رداءَ البساطةِ وتنكُّرٌ للماضـي والأصـالةِ لمواكبـةِ هذهِ القفزات !

الحياةُ اليومَ لم تعدْ كما كانتْ قبلَ ثلاثةِ قرونٍ مضتْ، كانتْ البساطةُ وعدمُ التكلفِ في كلّ شيءٍ، فلا مظاهرَ مزيفةٍ في الشكلِ ولا طريقَة الحَديث، ولا حتى ما يحدثَ في المناسباتِ من مُبالغاتٍ وفي كلّ ما يتعلقُ بها ..

افتقدنَا نكهةَ قهوتِنا العربيةِ في دلالِها الصفراءِ، وتحلُّقنَا حولَها في جلساتٍ بريئةٍ نضحكُ من أعماقِنا، حتى أشْكالنا الطبيعيّة تغيرتْ فمن كنت تعرفها بالأمسِ قدْ لا تعرفها اليوم شكلًا ومضمونًا، طمسْنا هويّاتنا ببلادةٍ وجهلٍ ، تخلّينا عن أبسطِ ما كان يميزُنا عنْ الآخرينَ حينَ تبعنَا غيَرنا فيما يعتنقونَ ويُؤمنون !

حاربوا لأجلِ أصالتكُم، وتمرّدوا على أهوائِكم بالتسلُّلِ لمدائنِ البسطاءِ، وممارسةِ طقوسِ الحياةِ البسيطةِ الخاليةِ من التكلفِ ..

بعثرُوا ما عَلقَ بكم من قناعات بأنّ: الفخامةَ في المظهرِ والإبهارِ ! فالبسطاءُ ينعمونَ بحياةٍ ممتعةٍ ومريحةٍ جدًا ..

عُودوا إلى فطرتِكم الأولى ليَبدوَ لكم العالمَ بمنْ فيهِ كما هوَ بلا تجميلٍ مخلٍّ إذْ ليسَ هناكَ أروعُ من علاقةٍ طبيعيةٍ بين البساطةِ والنقاءِ ..

تجرّدوا من الكماليات المعنويةِ والتفخيمِ المُقْلقِ والذي من شأنهِ أنْ يُبَلوركم في قالبٍ لا يناسبكَم تضيقُ به أنفاسكم، وترْهنُها بما لا تقتنعْ بهِ، فأنتم لستم مجبرين أنْ تظهروا بما يرضِي الآخرينَ عنكَم، بلْ قدّموا أنفسكم بما يليقُ بكم، ولا أجملَ منْ أن تكونَ بسيطًا غيرَ متكلفٍ، والأجمل من ذلكَ كلّهِ أن تتأنّق بالثباتِ على المبْدأ دونَ تأرجحٍ ..

البساطةُ في كلّ شيءٍ عنوانٌ للثقةِ بالنفسِ واعتدادٌ بمظاهرِ الحياةِ وإن لمْ تبهرِ المزَيّفين .

أقلام

كلُّ قلمٍ يتحدّثُ بلسانِ صاحبِهِ، وحديثُ الأقلامِ ذو شجونٍ، فمهما بلغتْ التقنيةُ من إبهارٍ يظلُّ القلَم متسيّدًا ساحةَ الكتابةِ، يعانقُ أناملَ الكاتبِ بتناغمٍ عجيبٍ، تتزينُ بهِ الجُيوب ويختبئُ بوداعةٍ بينَ ثنيّاتِ المحافظِ الشخصيةِ، تَستلُّه سيفًا بتّارًا يحاربُ عنكَ بكلِّ شراسةٍ وإنْ شئتَ جعلتهُ مرسولَ سلامٍ .

ويُمكنهُ أنْ يكونَ سيّالا يَطالُ السحابَ شموخًا، ينثرُ مدادهُ كشلالٍ من نورٍ، ويضيءُ الطريقَ في عتمةِ الليَالي للمُحبطينَ والبؤساءِ والبسطاءِ .

القلمُ لا يُكسرُ سنُّه، ولا يُراقُ مدادهُ على بساطِ اللامُبالاةِ، إذْ حينَ يُهانُ بالإهمالِ يخشوشنُ نزفهُ ويصبحُ نزِقًا بليدًا تديرهُ الأهواءَ، فيفقدُ قدرتهُ على التغييرِ حينَ لا يُحسنُ التعبيرَ .

أمانةُ الكلمةِ خطٌّ ناريٌّ وليسَ أحمرٌ فقطْ، يحترقُ فيهِ من يُحاولُ أن يجتازهُ بقلمٍ مأجورٍ، أو قلمٍ وضيعٍ همّهُ النيلُ منْ هذا وذاكَ، ضاربًا بميثاقِ أمانةِ الكلمةِ عرض الحائط !

القلمُ الصادقُ الأنيقُ نزفهُ ليسَ كأيّ نزفٍ، إذْ ليسَ أشدّ وطأةً من حرفٍ ملتهبٍ وَقودُه الأمانةُ وكلماتُ الحقّ، وليسَ أجملَ منْ نزفِ بعضَ تمتماتِ روحكَ وشيئًا منْ إحساسك .

كثرتْ الأقلامُ وتبايَنتْ مشاربُها وأهدافُها، وانسكبَ مدادُ بعضِ الأقلامِ ببريقٍ أخّاذٍ ولكنهُ بريقٌ مُزيفٌ وخطيرٌ، حينَ يبدو لكَ ناصحًا أمينًا وهو يدسُّ السمّ في العسلِ يُظهرُ لكَ مالا يُبطنُ .

وأقلامٌ اشرأبتْ أعناقُها ثمّ عادتْ تجثُو كسِيحةً مسْتسلمةً لليأسِ والإحباطِ، وكأنها تُقرّ بهزيمَتها بلْ يكادُ يخبو بريقَ أقلامٍ جريئةٍ وناصحةٍ .

حينَ يُغمدُ القلمُ النزيهُ فتِشوا عن من كسرَ سنّه فتهاوتْ أحرفهُ بينَ مائلٍ ومتعثرٍ؟

وعن من أخرسَ لسانهُ فأصبحَ كالميّتِ الذي لا يُحسُّ ولا يعي؟

وعن من وجّهَ بوصلتهُ فأدخلهُ نفقَ الاستسلامِ فإنْ كتبَ أخطأَ، وإنْ نهضَ تعثّرَ، وإنْ تكلمَ تلعثمَ، وإنْ أفصحَ تألّمَ؟

فقدْ أعمَوا بسطْوتهم عينهُ وأطفئُوا بريقهُ حتى كادَ أنْ يكونَ قلمًا أخرسًا لا ينطقْ .

القلمُ الجريءُ لا يخْشى الانتقادَ، ولا الحربَ الضروسَ التي تشنُّ الغاراتَ عليهِ، بهدفِ النيلِ منه وإسكاتهِ، ومن المؤلمِ حقًا أنْ يأتيكَ منْ كنتَ تظنُّه (الحَكيم) ويَسقطُ في فخِّ التغاضي فيجرُّكَ ويُسقطكَ في وحلِ مُجاملتهِ حينَ يجبُنُ قلمكَ إلى خطأ يقعُ فيهِ .

وهُنا يرتدُّ القلمُ على نفسهِ ويتقوقعُ، فليسَ على استعدادٍ أنْ يخسرَ قلوبًا يحترمُ ما كانوا يتبنّونهُ من نظرياتٍ، يحاربونَ منْ أجلِ قناعاتهِم ومبادئهِم ثم حينَ يصلُ الأمرُ إليهم تبدُو حقيقتُهم !

وحينَها يكونُ صرير القلـمِ الجـريءِ أقـوى فيقـولُ الحقيقـةَ، وأمْضـى فَتْكًـا بأسـاطيرِ الخـداعِ حتـى وإن خسـرَ أولئـك المُخادِعونَ .

الكلمةُ أمانـةٌ فإمّـا أنْ يكـونَ القلَـم علـى أُهبـةِ الاسـتعدادِ لتحمّلِ تبعاتِ نزفهِ وإلَّا فالغمدُ أولى به .

احترمُوا مِدادَ أقلامِكم، فـالقلمُ الصـادقُ الأنيـقُ لا يبـاعُ في المكتباتِ ..

أمّا حينَ ترتجفُ يدكُ وأنتَ تتأبّطُ قلمكَ، وتخشـى مـن قـولِ الحقيقةِ فلا حاجةَ للناسِ بقلمِك .

خطوات واسعة

جميعنا ومنذ أن ندرك أسرار الحياة نبدأ نحلم بكل الأشياء الجميلة بلحظات جميلة، بغدٍ أجمل، برفقة تُدثرنا بالحب والوفاء، بمنازل ترفرف عليها طيور السعادة والهناء، بوظائف مرموقة، أشياء كثيرة نحلم بها ونتمناها نسعى لها ولو بحيلة العاجز أحلام اليقظة .

نسعى وكلنا أمل يدفعنا حب الحياة الهانئة المستقرة..

هناك من يرسم حلمه (ولو كان بسيطا) يحدّد معالمه, ووسيلة الوصول إليه, وكم يحتاج من الوقت ليبلغه , وماذا يلزمه ليمتثل أمامه واقعا حيّا يعيشه فلا يستكين حتى يحققه..

أحلامنا متباينة في النوع والحجم نسير, لها إما بخطوات الملك الواثق بقدراته المؤمن بأن ما لديه سيمكنه من تحقيق حلمه فلا يلتفت للخلف يعشق التحدي ويجعل من العقبات درجات ترفعه للأعلى فيرتقي .

وإما بخطوات المرتبك المتعثر والذي اكتفى بندب حظه عند أول عقبه واستسلم لظنه البليد أنه عاجز لا حيلة له ولا قدرة لديه ويلقي باللائمة على قطار الحظ السريع الذي تجاوزه قبل أن يصعد إليه !

هؤلاء خطواتهم قصيرة وأحلامهم مع تواضعها هشة البناء وآمالهم حين تتجاوز حجرات منازلهم تصطدم في سقف الضعف واليأس لتعود عليهم بالألم والحسرة والندم..

أحلامكم يا سادة تحقيقها في متناول أيديكم قاتلوا من أجلها ولتكن خطواتكم أكبر, وقفزاتكم نحوها أوسع و أعلى، لا تتخاذلوا وتخذلوا حلما ولو كان وليدا فهو أولى بالرعاية من أحلام يقظة لا تؤتي أُكلها أبدا..

أحلامكم مصانع لحياة أجمل انطلقوا نحوها وتسلحوا بإيمان عميق..

(إنّ من سار على الدرب وصل) .

إلى أعماق أحدهم

رحلتُنا لنْ تكونَ إلى أرخبيلِ أندونيسيا، ولا جـزُر المالْـديف، ولا أيّ وجهـةٍ أخـرى في العـالمِ، ولـنْ نصْـطحبَ أجسـادَنا معَنا، سنتركُ حقائِبنا تقبُـع في مكانهـا، ولـن نكلّـف أنفسَـنا وعْثاءَ السفرِ، وتنسـيقَ جـدولِ الرّحلـةِ، واختيـارِ الصـحبةِ، وعناوينَ الفنادقِ..

بلْ سنسافرُ بأرواحنِـا فقـطْ إلى أعمـاقِ أحـدهِم، إلى عـالمٍ لمْ يشاهدْه بشرٌ!

عالمٌ خياليٌ تتلاحقُ صورهُ أمامَنا وكأنّنا شاخصونَ بأبصـارِنا أمامَ شاشةِ عرضٍ عملاقةٍ، نستعرضُ فيهـا أنمـاطَ البشـرِ، لا يعْنينا لون بشرةِ الإنسانِ، ولا طريقتهُ في تصفيفِ شعرهِ، ولا يلفتُنا عنايتهُ بهندامهِ، بقدرِ ما يهمُّنا طريقةُ تعاملهِ مـعَ الأقـلِّ منه..

هنا تبدو قِيْمةُ الإنسانِ وقِيَمهِ، إذْ غالبًـا نتصـنعُ الجمـالَ مـع الأثرياءِ والوجهاءِ والنافذينَ لنبدوَ أننا لسْنا أقلّ منهُم ويَحقُّ لنا مُجالستُهم !

وحينَ نلتقي الإنسانَ الحقيقيّ البعيدَ عـن التزييـفِ نتجاهـلُ حضورهُ وقدْ نتهربُ منه، نخشى أن ينقُل لنا عدوى الفقـرِ أو البؤسِ، عمْق نظرتهِ لا تحرّكُ ساكنًا فينا نرتابُ في صدقهِ !

السفَر إلى أعماقِ هؤلاءِ متعَة، والتقرّبُ إليهم تحـدٍّ لا يطيقـهُ الجَميع..

تعالُوا نحزِم أمتعةَ قُلوبنا المكدّسةَ فوق بعضِها حبًّـا وإنسـانيةً ورحمةً وعطفًا وصدقًا وثقةً، نرحلُ بها إلى أحدهِم لنسـتقرّ في عمْقه..

فنرسـمَ معـالمَ لبنـاءٍ لا يترهـلّ، بنـاءُ إنسـانٍ قـويّ لا يقبـلُ الانكسارَ في عُيونِنا..

إعمارُ القلوبِ ليسَ هناكَ أسهلَ منهُ حـينَ يـأذنَ الله بـذلك، فقطْ سنحطّ رحَالنـا هنـاكَ حيـثُ القُلـوب المكسُـورة تلـكَ القلوب التي تتقافزُ طربًا للصدقِ والحـبِّ، نـرمّم مـا تهـاوَى منهَـا ونعيـدُ وهـجَ آدميّتهـا المُهـدرةِ علـى بُسـط الغـرورِ والكبرياءِ, لنخطوَ معًا ونحلم معًا ونضحك معًا ..

سنشعلُ فتيلَ أملٍ يضيء به جوانبَ معتمةً في روحِه، ونتلقفُ بودٍ ما تساقطَ من ألمِهِ, وحزنهِ ووهنهِ من حيثُ لا يشعُر، لنعيدَ ترتيبَها أملًا وفرحًا وقوةً.. وحينَ يكتملُ البناءَ، ويعودُ يتأنقُ بالبسمةِ، ويقوى بالثقةِ، سنمدّ أكفّنا مصافحينَ ونرحلُ لنكملَ خطّ سيْرنا إلى جهةٍ أخرى غيرَ معلومةٍ نمارسُ فيها الركضَ المعنويّ الجميل.

احترام العقول

العقل تاج الحواس كلّها، وقدْ نراه الحاسة السادسة والحاسة الأم التي لا تُرى وتكتفي بأن ترعى بقية الحواس أجمع ..

فهو من يستشعر نوعية المواقف والكلمات، ويتنبّأ بالأخطار، ويتوقع الأجمل، ويقرّر ويأمر وينهى، هو محرّك الإنسان، وبوصلته التي توجّهه وترسم له خط سيره، وتعدّل من سلوكه وتهذب سماته..

والناس تختلف في درجة سلامة عقولها، هناك عقل راجح، وهناك خفيف، وآخر بينَ بين، ورابع غادر صاحبه بلا عودة فوقع فريسة للضياع..

وكلّ فرْد يسير وفق ما يُمليه عليه عقله فإمّا يَهديه وإما يُرديه ..

والعقل هو أعظم نعمة أنعمها الله على عباده لاسيّما حين يكون عقلًا سليمًا وناضجًا، ورغم أن العقول لاترى لكن ومن خلال مواقفك يرى الآخرون عقلك ماثلا في تصرفاتك..

ولك أن تتخيل أن العالم كله يشاهد عقلك !
هل تقبل أن تظهر لهم بعقلٍ مهترىء أو مهزوز أو هزيل؟!

أو تخدع نفسك و تتوارى خلف الأكاذيب من بـاب أنـي لا أكذب ولكني أتجمـل، فتتصـدر المجـالس وتنشـط في وسـائل التواصل تتحدث بما تعرف وبما لا تعرف !

أنت تعلم أنك تكذب وتعلم أنّ الجميع يعلم أنـك تكـذب، والأشدّ وطأة من ذلك حين (تُعير) عقلـك لآخـر وتعطّـل مهمتـه عـن الـتفكير والاسـتدلال والاسـتنباط والتحليـل، وتكتفي بما يردّده الآخر فيما يشبه التبعية المطلقـة فـلا تـرى إلا ما يَرى، وتأتي بما تعتقد أنه يمثلك وأنت لا تمتلكه أبدًا !
وهناك من يُخفي عقله بمـا يعتقـد أنـه ذكـاء ويعمـل بشـعار (سيّد القوم المتغابي) فلا يسـتخدمه إلا بمزاجـه فهـو يُظهـر عكس ما يُبطن !
وهذه الفئة خطيرة جدّا إذْ يمكنها أن تلعب أدوار مزدوجة ما بين الخير والشر، وهي بالفعـل قـادرة علـى إخفـاء عقولهـا، فتكون الوقورة والرزينة إذا اقتضت مصالحها ذلك, ثـم مـا تلبث أن تعودَ لسابق عهدها بالخفة والاستغباء!

نحن بحاجة ماسّـة لاحـترام العقـول، وعـدم تسْـطيحها, أو وصْمها بالسفاهة حين تأتي بالمنطقي والعقلاني, حتـى وإن لم يتوافق وأمزجتنا..

فكما ترغب أنت في احترام عقلك, وتنادي بالوضوح, كنْ أنت لها واحترمْ عقول الآخرين! ولا تُقْدم علـى مـا يضـطر الناس أن تجعلك في خانة المغرورين أو المغفلين، ولا تسعَ في محاولة منك لتطويع عقولهم فالعقل هبة من الله لا يُمنح مـن البشر.

اقرأ نفسك

حين يُمسك أحدنا وخاصة محبي القراءة كتابا فإنهم لا يكتفون بقراءة السطور!

بل يقرؤون ما خلف السطور، يُبحرون في غياهب بحار ما أورده الكاتب ليستخرجوا منه النفيس من الفوائد والفرائد.

وليست كلّ الكتب تستحق الاقتناء هناك من الكتب ما يُعد أغنى من كنوز الأثرياء، وهناك ما تتحسّر على ما صُرف عليه من وقت ومال وجهد حتى يصل إلى أيدي القراء!

القراءة ليست للمتعة فقط .. بل هي مفتاح لشخصيتك، إذ بإمكانها أن تفتح لك الرحاب من عالم لم تنتبه له من قبل في نفسك!

فهل فكرت يومًا أن تجعل من نفسك صفحات من كتاب تقرأ فيه نفسك قبل أن يقرؤك الآخرون؟

هل فكرت يومًا أن تلج إلى عالمك الخاص وتنظر إليه بتمعّن وتفكر وتعيد ترتيب العشوائي منه؟

لا أتحدث عن فكرةٍ مجنونة بل منطق عقلاني ولكن للأسف مهمل!

فأغلبنا لديه مخزونٌ هائل من المَلَكات الأخاذة ولكنه اكتفى بما ظهر للآخرين!

اكتفى بالإهمال, ووقف متفرجًا عليهم وهم يطوّعون هِبات الرحمن فيعبُرون بها من جانبه ليتجاوزوه!

هم ليسوا أكثر منه ذكاءً ولكنهم عملوا ولم يستكينوا، قرأوا أنفسهم بشغفٍ وحب، قرأوا ليصبحوا، قرأوا ليكونوا..

قراءة النفس وتقليب صفحاتها, والوقوف على مكامن الضعف يعدّ قوة، والبحث عمّا لديك من مخزون وتطويعه للارتقاء ذكاء..

كم من موهبةٍ أُهملت؟

وكم من هِبة لم تستثمر؟

وكم من ملَكَة وُئِدت كان بإمكان صاحبها أن يكون شيئًا مختلفًا؟!

قراءة النفس صناعة المبدعين، فالأذكياء حين يكتشفون أنفسهم يقدمونها للآخرين كأجمل ما يكون، الشخص لديه كاريزما تميزه عن غيره, يبحر في أعماقه ليأتي بالثمين الذي وهبه الله إياه، صمته فكرٌ وتأمل، وحديثه منطقيٌ وعقلاني، وعمله دؤوبٌ ودقيق، سماته أخّاذة وصفاته قدوة عرف إمكاناته فطوّعها وقرأ نفسه جيّدًا فهذبها وارتقى بها..

تخاذُلك عن اكتشاف نفسك يؤخر تقدّمك في سُلّم المبدعين والإيجابيين!

اقرأ نفسك قبل أن تقرأ لهم .

أمي والعيد

في كل عام كانت أمي تعد للعيد قبل أن يحط رحاله الزاهية في زوايا القلوب والأمكنة..

كانت أمي تخط عنوانه الباذخ بالجمال أرقا يبدو في عينيها, نراه نحن تعبا, وتراه هي أمومة وحبّا و فرحا .

هذا العام يأتي العيد وقد استبدل جلبابه الفضفاض الموشح بالفرح بجلباب آخر لا يشبهه! مطرز بكثير من شوق وحنين, لِما كان في سالف الزمان, ويخالطه خوف وقلق لما سيكون!

أمي تسأل عن غياب الأحبة : أين هم؟

تسأل عن مظاهر العيد, واستعدادات العيد, وتختنق الحروف وتموت الإجابة!

أعدك يا أمي لن يكون العيد بلا ألوان, ولا ورود, ولا ابتسامات, ولا لعب أطفال .

أعدك يـا أمـي أن نتناسـى وجـع الفـراق ونبتسـم كمـا كنـا وكنتِ.

سنجعل دموع الفرح الموسمية, وأصوات المهنئين حتى وإن كانت تعبر الأثير تقصر بهـا المسـافات, وتختـزل ألم الفـراق بوشوشة حنونة في آذاننا .

العيد يا أمي يأتي في ظرف استثنائي, ويقيننا يا أمي يقـوى، وعزيمتنا تشتد، وآمالنا تتمدد أن نلتقي ونفـرح ونسـعد ولـو بعد حين .

لم نُحرم يا أمي الدعاء, ولم نُحرم مـن جنـة البيـوت الأنيقـة بمن فيها, من آباء, وأخوة, وأبناء, وبنات .

ولم نحرم يا أمي الأماني تنبت في قلوبنـا, وتكـبر السـعادة, نحن من يصنعها يا أمي .

لا تغلبك الدموع يـا أمـي, ابتسـمي كمـا كنـت تبتسـمين, ودموع الفرح بلقاء الأحبـة تترقـرق في مقلتيـك, فـلا زلنـا نسير بأرواحنا أحياء, وتسبقنا قلوبنا لعناقهم..

ابتسمي يا أمي ودعيني أشم رائحة الحناء في كفيك, فأزداد عشقا لكل ماض يقربني إليك, فالعيد أن أسمع صوتك, ولسانك العذب يبتهل بالدعاء..

صباح العيد يا أمي سنلتقي دعاء وتهاني, سنلتقي فرحا, سنلتقي وقد صنعنا ذكريات لا تنسى, سنلتقي ونحكي للصغار كيف تجاوزنا الخوف, واحتفينا بالزائر السنوي عمقا وروحا, وتقاسمنا الفرح به مع القريب والبعيد..

سنحتفي بالعيد يا أمي وقد أتممنا الصيام بروحانية عجيبة طال فيها الفراغ وزادت فيها العبادات..

سنحتفي ونحن نتحلق حولك كما كنا صغارا, تبهرنا الحكايا, وتبهجنا الحلوى..

لا تحزني يا أمي وإن غاب البعض بالجسد فهو يقيم في القلب لا يغيب..

العيد يا أمي أن يجمعنا قلبك الحنون كالوطن حين ضحى اليوم بالنفيس لنجتمع غدا..

سنكون بخير يا أمي سنكون بخير .. كل عام والأحبة بخير ..

الجيش الأبيض

في الحروب تُحاصر المدن، وتـدكُّ الحصـون، ويعلـو صـوت المدافع وأزيز الرصاص، فيكفَخ الطير ويجفّ الـزرع ويـدبّ الخوف .

و النـاس إن لم يُقتلـوا فهـم إمـا محاصـرون حـدّ الهـلاك، أو مشردون تـائهون في الأرض، وحينهـا يـبرز دور الجـيش ذو العدة والعتاد ورجاله الأشاوس، ويعلق النـاس آمـالهم بعـد الله على قوته وشدة بأسه وقدرته على حفظ وتمكين الحدود وبسط الأمن في ربوع البلاد هذا ما عهدناه في حال الحروب التقليدية بين جيوش الدول المتحاربـة، ولكـن كيـف يكـون الحال وخصمك غامض وغير مرئي؟!

إذْ حين يهاجمك عدوٌ قاتلٌ لا يبقي ولا يـذر، يقـتحم الـبلاد تلو البلاد، يجتاز الحدود ويعبر البحـار فيقلـب أوضـاع دول عظمـى فيكسـد اقتصـادها، وتُهْجـر مطاراتهـا، وتتعطـل مصالحها، يحتار فيه العـالِم والخـبير، وتنهـار أمامـه قـدرات أعتى الجيوش حين يسيطر علـى رؤسـائها قبـل مرؤوسـيها،

تبوء خطط عساكرها أمام سطوته بالفشل الذريع! ليتقدم أفراد الجيش الأبيض الصفوف، يقفون في وجه هذا العدو بكل اقتدار، ميادين قتالهم المستشفيات، وعدتهم الثقة بالله والتوكل عليه أولا، وحب المهنة والولاء لها ثانيا، وإنسانيتهم ثالثا ورابعا وعاشرا .

نعم إنهم أبطال "الصحة" هم العنوان الأجمل, والأجدر لهذه المرحلة الحساسة، هم من يستحقون الثقة, والإشادة, والثناء, فقد أثبتوا بما لا يدع مجالا للشك, أنهم القادة البارعون في حرب عدوهم العابر للقارات, الذي يقصف المدن بلا رصاص وبلا رحمة، فاستطاعوا بتوفيق من الله التصدي له ووقف انتشاره مقدمين أرواحهم قبل راحتهم .

تركوا العالم يتفرج, ويحصي, ويخاف, ويأمل, وتفرغوا هم للميدان حتى وهم يشاهدون زملاء لهم يتساقطون مصابين .

حتى وهم يتركون خلفهم أُسرًا وأحبة يخافون عليهم .

حتى وهم على يقين أنهم عرضة للعدوى !

حتى وهم يبصرون مشاهد الخوف والألم في عيون مرضاهم فتتقطع لها نياط قلوبهم .

حتى وهم يدركون أن دخول المستشفيات بوضعها الحالي , لا يقل خطورة عن أرض معركة القصف فيها عشوائي، فلا يزيدهم ذلك إلا إصرارًا وعزيمة على مواصلة حربهم ليتحرر العالم بأسره من هجوم فايروس كورونا وتنعم البشرية جمعاء بالصحة والعافية..

الجيش الأبيض أبطال الصحة واجب علينا الاحتفاء بكم , وحقٌ لكم أن نقدر تضحياتكم دمتم لآلئ تزهو بها تيجان الفخر والاعتزاز .

أسرى العادات

لو قُدّر لنا أن نحصر العادات السيئة في المجتمع فلن نتفق على أغلبها، فحين ترى أنت أن هذه عادة سيئة قد أختلف معك فأراها عادية, وهذه مكابرة إذ أن كل عادة تؤدي إلى سوء فهي سيئة بلا شك .

العادات السيئة للأفراد تهدم قيم أي مجتمع مهما حرص قادته على التوجيه والإرشاد، فممارسة العادات السيئة علنا وأمام الناشئة مدعاة للتقليد والمحاكاة، وبالتالي تأصيل هذه العادات وترسيخها في ثقافتهم وانسحابها على النظرة العامة للمجتمع لا سيما أثناء فترات الحروب والتراشق الإعلامي بين الفرقاء .

ليس هناك مجتمع يخلو من العادات السيئة ففي كل مجتمع أفراد يمارسونها حتى وإن كان مجتمعا صالحا متدينا فلكلّ قاعدة شواذ، ومن الإجحاف أن نطبع على مجتمع بعينه أنه سيء حين يأتي بعض أفراده بسلوكيات غير مقبولة، ولا يمكن أيضا أن نمنح مجتمعا آخر صك براءة من السوء حين

لا يبدو لنا منه إلا الوجه الآخر كتقدمه العلمي أو تطوره المدني وجودة بنيته التحتية، فقد يكون له وجه آخر يمارس في الخفاء لا يعلمه إلا أهله..!

العادات السيئة الفردية حين تسيطر على عقل أحدنا فإنه يصبح أسيرًا لها تكبله أينما حل أو ارتحل، ومن الممكن جدا أن يغير من طباعه لتتماشى مع عادته السيئة وليس بالسهل التخلص منها مالم يكن لديه قوة إرادة ورغبة في التغيير، وظرف استثنائي يسهم في علاجه كما هي الحال في رمضان والذي يعدّ فرصة سانحة للتخلص منها ونبذها وفكّ قيودها..

رمضان له خصوصية لا تكون في غيره حين نُلهَم فيه الصبر، ونُمنَح القدرة على التحمل، ويعزّز لدينا الكثير من القيم، لعل من أبرزها الرغبة في التحول من شخص عنيف أو سلبي أو مقصر أو غير سوي إلى إنسان سوي مسالم إيجابي ومبادر ..

رمضان للعاقل فرصة تُستثمَر، ففيه يمكن أن تكـون شخصـا آخرَ مُختلفا عما عُهِد عنك، فإن كنت مُدخنا تستطيع تركـه، وإن كنت أسيرًا لجهازك تستطيع أن تستغني عنـه، وإن كنـت مدمنا على عادة قبيحة تسـتطيع أن تسـتبدلها بـأخرى جميلـة وما عليك سوى أن تستعين بالله ثـم تستحضـر نيتـك علـى التغيير ..

إن ممارسة العادات السيئة دليل ضـعف وخنـوع واستسـلام وقد تصنف أنها نوع من الإدمان، ويجـب أن نبـادر للتحـرر منها واستبدالها بعادات أفضل وأجمل..

أسرى العادات أشخاص مُتقلبوا المزاج ومن السهل جدا أن تستفزهم وتثير حنقهم، فمن لا يستطيع أن يترك عادة تقيـده فلا استطاعة لديه أن يضبط أعصابه ويكظم غيظه .

الخوف

الخوف شعور يقتحمك لعدة أسباب فيلغي إحساسك بالأمان النفسي، ويعطل قدرتك على التفكير المنطقي والعقلاني، وتبدأ على إثره بالتصرف بصورة غريبة وأحيانا مبالغا فيها مما يثير قلق من حولك والمحيطين بك ومنهم من يراها ضربا من الجبن وأحيانا من الجنون!

كلنا نخاف وهذا أمر طبيعي، وكلنا نحذر وهذا قد يكون ضروريا وكلنا نتصرف بريبة حال الشك لندرأ عن قلوبنا الشعور بالخطر، ولكن أن يتعدى الخوف لدينا حدّه الطبيعي فهذا بلا شك يصبح خوفا مرضيّا وغير مقبول، إذ يمكنه أن يدخلنا في نفق الوهم والمرض النفسي والكآبة..

الخوف حين يستوطن قلب أحدهم فإنه يقضّ مضجعه فيصبح هاجسه المخاطر والكوارث والأمراض فلا يهنأ باللحظة ولا يعيش الفرح ولا تستكين روحه !

الخوف الغير مبرر أو المبالغ فيه يتنافى مع التوكل على الله (اعقلها وتوكل) وما نراه في هذه الفترة الحرجة من انتشار

وباء كورونا من فزع نظرًا لما تلقي به وسائل التواصل والإعلام من تحقيقات وافتراضات وتقارير قد يكون أغلبها مبالغا فيه (عدا ما تقدمه الجهات المسؤولة المخوّلة) فإن ذلك سيكون له انعكاسا خطيرا على البعض والذين لا يتمتعون بقدرة جيدة على التماسك والقوة ومواجهة الخوف بالإيمان ثم الاحتراز الذي توصي به الجهات المسؤولة..

أما أن نجعل من أنفسنا فريسة سهلة تنهش وسائل التواصل من هدوئنا النفسي وطمأنينتنا فهذا سيؤدي بنا حتى وإن سلمنا من الفايروس إلى الانهيار النفسي ولو بعد حين !

نحن لا ننادي باللامبالاة والاستهتار بل نقول رفقا بأنفسكم واجهوا الخوف بالإيمان والعزيمة والاحتراز المقبول..

لا أن نركض بلا وعي خلف الشائعات والأوهام والانغلاق، كرّسوا أوقاتكم لما فيه فائدة لكم ولأسركم ومجتمعكم وأمتكم..

الآن منحنا الوقت والصحة والفـراغ, فمـاذا نحـن فـاعلون وقد كنا نشتكي ضيق الوقت والضغوطات؟

هيّ الأيام بين أيديكم فاعمروها واستثمروها في بناء ذواتكم وأنفسكم لكيلا نبقى طويلا نبكي على اللبن المسكوب .

التافهون

(حب الشهرة أعلى مراتب التفاهة)

مقولة تكاد تكون الأصدق والأقرب لحال التافهين الذين يعيشون بيننا ..

التافه لا قيمة له يردّد ما يسمع بلا وعي ولا إدراك، يعتقد أن ارتفاع الصوت أو جمال الشكل مقومات للتميز !

وما علم أن الجمال بلا عقل خواء، وصوت مرتفع بلا حق جعجعة لا طحين يرجى منها..

التافهون يتصدّرون المشهد في كل مكان بحثا عن شهرة مؤقتة، فالناس لم تكن ولن تكن غائبة الوعي أو مغفلة لتطيل النظر أو الاستماع لخزعبلات وهرطقات لا خير فيها..

التافهون يحفظون ولا يفهمون، تراهم يتحدثون في كل شيء ولا يفقهون ما يقولون، هم فقط يعشقون وميض الفلاشات ويستميتون لانتزاع متابعة لحساباتهم !

التافهون حين تراهم تتمنى لـو أنـك لم تقابلـهم ولم يجمعـك بهم مجلس أو لقاء حـين ينكشـف غطـائهم عـن سـذاجة في الفهم وضحالة في الفكر!

مـن سمـات التافـه الانتهازيـة والقفـز علـى أكتـاف الآخـر والتطفل على كل شيء فقد اعتاد على التسلق معتمدا علـى سخفه ودنائته..

التافه وإن كان يحمـل شـهادة عُليـا فهـذه لا تمنحـه ثقـلا أو وقارًا, بل قد تزيده إسرافا في صفاقته وتفاهتـه فـتراه يحتقـر الناس ويراهم من برجه العاجي الهش، ويعتقـد أن شـهادته جواز سفر للمرور عبر الممنوع والمحظور فلا شيء يراه أمـام حماقته وبذاءة لسانه..

ابتلينا بالتافهين في كل مكان حتـى وصـل الأمـر إلى وسـائل التواصل الاجتماعي والتي تعجّ بالكثير مـنهم ذكـورًا وإناثًـا فما تكاد تفتح إحدى هذه الوسـائل حتـى تطـلّ لـك تافهـة تسوق لمنـتج سـيء وتبـدأ في اجـترار حبـل أكاذيبهـا وأنهـا تسـتخدم هـذا المنـتج وتوصـي بـه و و و.... وتسـتعرض أدواتها وملامحها الموغلـة في البشـاعة لتقنعنـا أن سـرّ جمالهـا

(الأخاذ والفاتن) هذا المنتج وهـي تـدرك أنهـا تكـذب ولا تدرك أننا نعلم أنها تكذب !

كما يأتي أحد التافهين فينبري للحديث عن القيم والسـلوك الحسن وما يجب وما لا يجب ويصنع من نفسه أستاذا جهبذا في الأخلاق ومكارمهـا ثـم نجـده يسـقط سـقوطا مـدويّا في وحل السلوك المشين ويلطّخ مـا تبقـى مـن مصـداقيته عنـد السفهاء من متابعيه!

التافهون يتكاثرون بشكل عجيـب ولعـل السـبب في سـرعة انتشارهم تقبل بعض الناس لهم وتلقفهم كـل مـا يضـخونه لهم دون فلتر أو تمحيص!

من هنا يجب على العقلاء فينا كشف هؤلاء والتحذير مـنهم خاصـة الفئـة المسـتهدفة لأكـاذيبهم وترّهـاتهم فئـة الناشـئة والشباب فنحن حين نغـضّ الطـرف عـنهم فإننـا بـلا شـك نساعد على استمرارهم وانتشارهم وتقليدهم.

وأخيرا وكما قيل:

فضلا لا تجعلوا من الحمقى والتافهين مشاهير .

الرحيل

حين تطرق أسماعنا هذه الكلمة تنقبض منا القلوب، ويحلّ وجع لا نعلم عنه إلا أنه ارتبط فينا بالفراق الموجع حدّ البكاء.

الرحيل الأبدي رحيل لا حيلة لنا فيه ولا خيار حين يأتي، يرحلون بأجسادهم وتبقى تفاصيلهم تزورنا ليل نهار، تنتزع من سويداء القلب آهات حرّى، وتطفر دمعات قد لا ترى، وينبت الحزن غابات لا يُرى من خلالها الفرح إلا ابتسامات باهتة لا إحساس فيها ولا لون.

الرحيل المفاجئ وبلا مقدمات موت آخر للحيّ يعزى فيه قلبه الموجوع، إذ لم يحدث نفسه يوما أن يعيش هذه اللحظة ولم يكن مستعدا لتلقي وامتصاص صدمتها فيكون ألم الفقد مضاعفا.

الراحل يعيش بيننا ذكرى وإن غاب جسده، يخيل إلينا صوته، ننتظر قدومه، نسمع خطواته، نراه في عيون محبيه لوعة لا تكاد تغادرهم أبدا حتى وهم يتدثرون بالفرح، وهذا أقسى أنواع الرحيل!

ثم يأتي الرحيل المرّ رحيل من رسم معك تفاصيل لحظاتك، قاسمك الهم قبل الفرح، رحيل توأم الروح الذي يمتطي صهوة الوشاية أو العصبية أو الشك ليمخر عباب بحر الفراق هو يبكي ألما وأنت تبكي دمًا، فراق يقتلك حين لا تستطيع أن تظهر براءتك!

الرحيل المزعج الرحيل عن الديار وآآه من الرحيل عنها تحت أي ظرف إذ لا شيء يعدل حب المكان بتفاصيله، من بشر وشجر وحتى حجر، فراق الديار والرحيل عنها غيبوبة قد تطول فيختلف عليك المكان تختفي ملامحه التي اعتدت أن تراها والصقتها في ذاكرتك حبا وانتماء، وحين تعود ولو بعد زمن تعود للحب وإن اختلف عليك.

الرحيل بكل أنواعه مرّ وموجع لاسيّما حين يُفرَض عليك إذ ليس هو ذاك الرحيل الذي تبحث عنه! كالرحيل إلى قلوب الآخرين بشخصيتك الماتعة الجميلة بالكاريزما المميزة لك، أو الرحيل حيث ملكوت السموات والأرض تفكرّا وتدبّرا ليرتقي بك الفؤاد إلى الإيمان العميق بالله.

قد لا نحب الرحيل الجسدي ولكـن يجـب أن نحـب ونسـعى للرحيل المعنوي بالعقل والقلب والسمع والبصر.

(ارحل فالأفق واسع)

الفايروس

عاش العالم ولا زال يعيش صراعا عنيفا مع عدو غير مرئي، ضعيف في حجمه خطير ومدمّر في نتائجه، إذ استطاع أن يُدخل الحزن في بيوت لم تتوقع للحظة أن تكون في مواجهته وتستسلم للخسارة التي لا تعوض، ففقدان أرواح كانت بيننا نتنفس الهواء نفسه, ونمشي الأرض ذاتها, ونتشارك الهمّ, ونتبادل المشاعر, ليست بالأمر الهين فالفقد موجع, والحنين لمن غادر ولن يعود يذيبُ القلب..

جميع دول العالم في حالة استنفار شديدة لمحاولة البحث عن مخرج من مأزق هذا الفايروس ولأول مرة في عمر هذا القرن يتحدّ العالم بكافة ملَلِه وأعراقه وألوانه وأطيافه في صف واحد لإدراكهم حجم الخطر المحدق بهم..

العالم كله استنفر قواه البشرية والمادية لمحاربة فايروس ضئيل لا يرى بالعين المجردة ولكن هل هذا هو الفايروس الوحيد الذي ينخر في نسيجنا الاجتماعي؟ لا .

بل لدينا كثير من الفايروسات المعنوية , والمادية والتي لا تقل خطورة عن فايروس كورونا..

لدينا فايروس (الإهمال) في كل شيء حتى ضرب الإهمال أطنابه في عمق علاقاتنا بأحبتنا فرحل الكبار دون توديع، وكبر الصغار دون ملاحظة، واستقل الشباب دون تأثر أو تأثير ، واختلت كفتي الميزان ما بين خطأ وصواب في معتقد البعض، وأهملنا واجباتنا تجاه من يحبنا، وأهملت حقوقنا ممن نحبهم!

وهناك فايروس (الإشاعات)

هذا الفايروس الذي يقتات على مجاملتنا للآخر حين نرخي له السمع دون تثبت، ونسير في ركابه نوزع الأكاذيب دون تمحيص أو تدقيق، وندق أسفين الوجع في قلوب بريئة، أو نغرس نصال سكين الفرقة والشتات في أُسر كانت سعيدة فقطعنا أوصال تواصلها ببعض بسرعة تفوق سرعة الضوء وتدمر بحجم تدمير الزلازل للمدن!

وهناك فايروس (إدمان الأجهزة الكفية) ولعمري إن هذا أشد وأقسى أنواع الإدمان حين نكون أسرى للجهاز، يُطوّح بنا يمينا تارة ويسارا تارات أخرى، فما عاد إحساسنا بالوقت قائما وما عدنا نهتم لمن وبمن حولنا!

تفشت فينا البلادة وعدم الإحساس بالآخر، وافتقدنا بلا مبالاة ألفة الأسرة وأصبحنا نهاجم القريب حين مقاطعتنا لنبتسم للغريب!

وهناك فايروس لا زال يهاجم وبضراوة أرواحنا إذْ بتنا نبتعد عن أنفسنا، نلهث ولا ندري إلى أين نبحث ولا نعلم عمّ نبحث!

فتسلّل الوهن إلينا, وتغلغل الكسل في مفاصلنا حين تركنا رواء الروح بالقرب من الله تعالى إنه فايروس (الغفلة وطول الأمل).

فايروس كورونا جندٌ من جنود الله أراد بنا خيرًا فأيقظنا من غفلة، ولكن فايروساتنا والتي صنعناها نحنُ من يحمينا منها ونحن مستسلمون؟!

عقل قابل للتحديث

نولدُ لسنا مُبهمين كمن لا معالم له، بل لكلٍّ منا بصمته الخاصة التي تميزه عن غيره، ثم يكبر ويصبح له عالمه العقلي الخاص الذي لا يشاركه فيه أحد إلا بموافقة منه..

نتفاعل مع محيطنا وتتشكل هوياتنا أيضا بما نتأثر به وبما يُلقى على مسامعنا وأبصارنا وقلما تجد من لا يتأثر بما يدور حوله، وكثيرا ما نجد من المؤثرين إما سلبا أو إيجابا وكان هذا النهج المعتمد للحياة حتى اجتاحتنا موجة ما يسمى بالسوشيال ميديا!

هنا انقلبت الحياة رأسا على عقب وأصبحنا كمن يحمل عقله في راحتيه يذبّ عنه ويستميت في الدفاع عما كان يعتقده، إذ أنّ هذه الطفرة التكنولوجية أصبحت هي من تقود العالم بأسره حين سيطرت بلا جيش عرمرم ولا أسلحة فتّاكة على عقول العالم، فما كنت تظنه مستحيلا منذ عام أصبح واقعًا قائمًا وملموسًا!

اليوم يكفي أن تضغط بأصغر أصابعك على جهاز كفيّ تحمله في يدك لتجدك تركض في أعتى أسواق البورصة العالمية, أو تتمشى في حدائق لم تحلم يوما أن تصل لتفاصيلها ولو حلما, المستحيل أصبح واقعًا! انكشفت أسرار وسقطت امبراطوريات مال وشخصيات، وانهارت حصون معلومات مخبأة تحت وطأة هذه التكنولوجيا..

ونأتي للسؤال الذي يفرض نفسه:

ما مدى تأثرك بهذا؟!

بيننا من يكون له وجه آخر عبر السوشيال ميديا ليبدو أكثر حسنًا وجمالا..

وبيننا من أغلق عقله عن تقبل كلّ ما هو جديد وكأنما عُلق أمامه لوحة تحمل (عقلٌ غير قابل للتحديث) فلا تفاعل ولا تغيير ولا تقبل!

بيننا من يكون ضعيفا هشّا يتلقف كل ما يلقى إليه ويسلّم بها كحقائق ثابتة يستشهد بها، وهذه الفئة أخطر ما يكون على المجتمعات..

وبيننا من جعلت من هذه الطفرة سلّما ترتقيه لتعانق معـالي الأمور بتطوير نفسه وتعليمها وتهـذيبها فيـتعلم أولا الحلـم والصبر والثبات في عدم الانجراف خلف شخصٍ مسـتفز أو آخر فارغ إلا من إبهار كاذب!

كلنا وإن كابرنا نبدو عكس ما نحن عليـه خلـف هـذا الـذي بين يديك الآن، نحاول أن نمتلك كاريزما خاصة لنبـدو أمـام الغير كأجمل ما يكون ولا بأس في ذلك حـين نمتلـك أدوات تجميل حقيقية وغير مزيفة.

أتسمعني؟!

أتسمعُني حين أقول لك :

ارتق بقلبك ولا تسلمه لأحد يُحدث فيه من الشغب ما يؤلمك!

أتسمعُني حين أقول الأم دوحة أمان يستظل بها المتعب فيستريح ويهنأ ويطمئن فكن لها الماء لتعيش؟

أتسمعُني حين أهمس في أذنك أن لا تغيب طويلا عن تفقد نفسك وإرواء ما جفّ من أفنانها بالقرآن والصدقة؟

أتسمعُني وأنا أناشدك أن لا تسرف في جلد نفسك وعتابها لضياع فرصة واحدة وأمامك عشرات الفرص؟

أتسمعُني وأنت غارق في خيالاتك وأحلام يقظتك أن كفى استيقظ لنفسك وحلق بها واقعا؟

أتسمعُني وأنا أحدثك عن الأمل عن الأمان عن الطموح عن الفأل عن الجمال وعن الحب وأن كل هذا متاح لك ولا أحد يمنعه عنك؟

أتسمعُني وأنا أحذرك من المساس بمشاعر غيرك بخدعة أو تضليل؟

أتسمعُني وأنت تختال فأقول تواضع فالغرور مقبرة المبدعين؟

أتسمعُني وأنا أرجوك أن لا ترقص على جراح الآخرين وآلامهم شامتا فيعافيهم الله ويبتليك؟

أتسمعُني حين ترتفع وتيرة غضبك أن اِهدأ و لا تفقد أحبتك بالجارح من القول؟

أتسمعُني وقبل أن يدير البعض ظهره إليك لا تثق بمعسول الكلام فالإنسان مبدأ وموقف؟

أتسمعُني وأنا أدعوك لتتمسك بصديقك المخلص الأمين وإن كثر حولك المعجبون أو الأصدقاء المزيفون؟

أتسمعُني أن اِجمع شتاتك لا تتفرق بك السبل لاهثا خلف سراب الشهرة؟

أتسمعُني وأنا أناديك تمهل تمهل قلبك الموجوع سيأتي من يدثره بلسم الشفاء في علاقات نقية وواضحة؟

وأخيرا..

اسمعني فحديثي إليك حديث مُحب ومُشفق فصدقني.

الديموقراطية بين الاختيار والتخيير

ارتبط مصطلح الديموقراطية في أذهاننا بالسياسة والشأن السياسي والانتخابات، واستخدم المحللون السياسيون مفردة الديموقراطية كثيرا لاسيما حين يتولون اقناعنا أن جُلّ من يحكم شعبا يحكمهم بالحديد والنار! والرؤساء يتعاملون مع مرؤوسيهم بفوقية وتعالي مفرط, وأنه لا مجال للشورى وتقرير المصير, و العدل والمشاركة والمساواة.

كما أن الإعلام بكل وسائله تبنّى فكرة استحالة بسط الديموقراطية ونشر أجنحتها لتضم المطحونين والبسطاء بل وقد يضيفونها إلى عجائب الدنيا السبع لتصبح عجائب ثمان.

إن اختزال الديموقراطية في السياسة إجحاف بحق الشورى والإقناع, والتي نستطيع تبسيط تعريفها بالتالي..

الديموقراطية هي: حكم الأمة أو الشعب أو القبيلة أو حتى مقر العمل بقوانين تحفظ للجميع حق المشاركة والمساواة.

وقد يكون من الظلم للحاكم أن يُتهم بالدكتاتورية حين لا تتوافق تلك القوانين وأمزجة الناس ورغباتها! إذْ حين يحكم بتلك القوانين و يكون عادلا ومؤمنا بحقوق شعبه ومرؤوسيه ويخرج عليه أحد المتعجرفين الذين اعتادوا على الاعتراض بمجرد الاعتراض فيكيل له التهم ويحرض عليه العامة.

لا شك أن الشورى هى الوجه الحسن للديموقراطية, تلك المفردة التي حاولت أن آتي بمعناها العربي فلم أجد لها علاقة بالإقناع, ولا بالشورى, ولا بالحوار, ولا حتى بتبادل الرأي!

إذْ أن الديموقراطية في العرف الغربي هي: سنّ قوانين ملزمة للشعوب من قبل الحكام دون النظر للقدرات والفروق الفردية.

الديموقراطية إن اتفقنا أنها (الشورى والإقناع) يجب أن تسود ليس في الحال السياسي فقط والذي أثبت فشله الذريع! إذْ حين تطبق بالطريقة التي لا تحفظ الحقوق فإنها

تتحـول إلى عبـث وفوضـى كمـا هـي الحـال في بعـض البرلمانات! فالنقاش يتطور حدّ الانفلات و في لحظة يتحـول إلى عنف والكلمات إلى لكمـات وتضـيع أبسـط الحقـوق في توضيح وجهة النظر.

الشـورى أو كمـا تسـمى الديموقراطيـة يجـب أن تحضـر في العائلة, وبـين الأصـدقاء وزمـلاء العمـل, وفي كـل تجمـع لإقرار أمراً ما.

وليس مقبولا منك (كولي أمـر) سـواء كنـت أب, أو أم, أو زوج, أو حتى صديق, في موقـع قـوة أن تخيّـر مـن هـم تحت يدك بين أحد أمرين ثم تعود لتقـرر أنـت مـا يناسـبك ويتوافق ورغباتك متجاهلا تنظيرك بالديموقراطية المزعومة!

فالحال هنا ستكون أنت ديكتاتوريا, متعجرفا, مع التسـليم بأهمية نوع القرار وما يترتـب عليـه فلـيس مـن المنطـق أن تجعل من تقرير مصير عائلة (كمثال) يخضع لمـزاج مراهـق أو متهور!

فما يمليه عليك دينك ثم عقلك هو ما يجب أن يحضر.

تويتر ساحة قصاص

تويتر هذا العالم الساحر الواقعي العجيب فهو ينقل لك الحدث دون التحقق من الناقل والذي قد يكون حقيقيا, أو مموها, أو حتى افتراضيّا, ساحة عجيبة تجمع كل الأضداد والمتشابهين!

ساحة الازدواجية والثبات, بل إن شئتم ميدان للحب والحرب! تتحدث ولا تعلم إن كنت تحادث كهلا وقورا, أو شابا طائشا, أو طفلا سفيها! تتلقف المعلومة إما حقيقة أو أكذوبة أوخيال.

يأتيك بالفرح ولا يتوانى أن يصدمك بالخيبات! أهله مختلفي المشارب! فحين تستهويك السياسة تجد رفيقك يركض خلف أخبار الرياضة! وتلك تميل لمشاهير الفن, وذاك شاخصٌ على جادة الهاشتاقات فيدلي بدلوه بالغث والسمين.

تويتر أحدث نقلة نوعية في الفكر العالمي وليس العربي, فما كان محظورا وممنوعا ومُغيبا أصبح مكشوفا ومتاحا! بل

وسلاحا في أيدي أمهر الصيادين, والهواة, والطائشين, وأرباب القصف العشوائي! فلا يهم أن يكون جرحه للغير أليما, ولا انتهاكه للخصوصية محرجا, ولا ترويجه للإشاعة خطرا! خاصة ممن يستهويهم تزايد أعداد المتابعين ولا يهمه أبدا مستواهم العقلي ولا الفكري! ومن هؤلاء من جعل من تويتر ساحة ((للقصاص)) فالأحكام المسبقة والمعلبة جاهزة! ينتظر فرائسه لتسقط في كمين الكلمة المبهمة, أو الغامضة, أو إشاعة مغرضة ليتولى جلده بسياط ما يعتقده نقدا! ولا يعلم عن حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام { رُبّ كلمةٍ لا يُلقي لهَا بالاً تهوِي بِه فِي النّار سبْعينَ خَريفاً } لاسيما فيما يتعلق في الأعراض والتكفير.

تويتر هذه المنصة العجيبة, والتي تكاد تكون منبرا لمن لا منبر له, تتعالى فيه الأصوات مؤيدة ومعارضة, يتراشق فيه العالم الاتهامات حتى وإن لم تثبت الإدانة المهم أن أكون حاضرا في الأذهان.

الكلمة في تويتر مؤثرة جدا, بها تنساق خلفك أمم ليس بالضرورة أن تكون هذه الأمم مقتنعة بما تقول ولكن من

باب سمعتهم يقولون فقلت! وربّما يأتي من هذه الأمم من يسومك سوء الاعتراض عليك, والاختلاف معك, وربّما العكس.

هذه المنصة العجيبة يقف عليها الجميع بلا استثناء فالأمير يزاحمه مشرّد! والرئيس يتطاول عليه معلوم ومجهول! لا بأس فلا حصانة لأحد.

تويتر عالم مفتوح تتلقف فيه الممكن وغيرالممكن, فيه الشجاع, والجبان, فيه الواضح, والغامض, فيه المِقدام, والمتربص, الكلّ سواسية, والحذر هو ما يجب أن يحضر في التعاطي مع هذا العالم الرهيب, إذْ أن ما تخطه من حرف قد يكون في يدك قيدا لا تستطيع الفكاك منه.

الاستثنائيون

هناك وهنا وبيننا أفراد استثنائيون, مبادرون يعشقون التحدي, لا يعرفون اليأس, يمتلكون كاريزما خاصة في أحاديثهم وطرق تفكيرهم، حتى حركاتهم ملفتة للنظر.

غالبا هؤلاء يحظون بقبول من الناس، لا يدخلون مجلسًا إلا ويكون لهم بصمة واضحة المعالم، يبادرونك في عرض خدماتهم وإن لم تكن محتاجًا! فلا أقل من ابتسامة عذبة يقدمونها لتصنع بها يومك.

هؤلاء ليسوا نادرين أو قلة حتى لا نكون من المحبطين بل هم ولله الحمد كثرة تراهم في الاجتماعات ومقرات العمل والدراسة، هم لا ينتظرون إشادة من أحد, أو ثناء, إنهم يتعاملون بتلقائية موغلة في العفوية والبساطة, لا ينتظرون أن تأتي لهم بالأفكار بل يأتونها هم ويأتون بها ليرتفع بها بناء كل جميل.

هؤلاء النخبة لا يستسلمون أمام العراقيل بل يذللونها ويصعدون عليها ليرتقوا وإن فشلت محاولاتهم, لا يبكون

ولا يملؤون الدنيا عويلًا وصراخًا, بل يبتسمون ويتعلمون من الخطأ ويتقبلون فكرة أن يكفينا شرف المحاولة وسنعيد الكرّة لننجح.

هؤلاء هم السعداء فاقترب منهم ورافقهم وتعلم منهم كيف لك أن تتكيف مع كل مظاهر الإحباطات والانتكاسات بل وتقلبها لأن تصبح انطلاقة وتميزا.

هؤلاء يجعلون للحياة ألوانا زاهية, و للعلاقات روحا معطاءة, وللقلب سعادة لا يكدرها فشل.. هؤلاء من يجب أن تُسلّم لهم زمام أمور صنع الفرح والتألق, لا أن نستسلم لأولئك التعساء الذين ما فتئوا يزرعون في أرواحنا بذور العجز واليأس بدموعهم وتباكيهم ..

هؤلاء هم الإيجابيون الذين يقلبون الساعة الرملية قبل انتهاء الوقت للبدء من جديد فهم لا يحبون النهايات السوداء, ولا التوقف عند العقبات! فقد أتقنوا القفز للأعلى في خطواتهم التي تسابق الزمن لصنع المجد, وكتابة التاريخ بأحرف السعادة..

هؤلاء المبادرون الذين يعشقون التضحية والإيثار فلا يهم أن يكونوا في آخر الصف طالما أنهم يثقون بقدراتهم الخارقة على الكسب ولو متأخرا, والتعايش ولو صعبت ظروف التكيف والابتسام وإن تساقطت الدموع.

ما أحوجنا لنماذج تحيي فينا روح التفاؤل, وحب المغامرة المنطقية, وتجاوز المآسي بكل صورها وأشكالها!

ما أحوجنا إلى أولائك المعنيين بصنع الألوان في الواجهات الشاحبة والكئيبة, لنصبغ أيامنا بالبهجة!

وما أحوجنا لأن نكون نحن من يقاسم الآخر سعادته فلا يبخل ولا يُمن!

ما أحوجنا لأن نكون مطلوب لا طالب, ومانح لا من يُمنح وباذل لا من يُبذل له!

وما أروعنا ونحن أصدقاء للجمال بكافة مظاهره!

فهلاّ جربنا أن نكون منهم؟

كل انحياز ممقوت

عبارة أراها دقيقة جدًا لاسيّما وأنها تعني التشدّد لمبدأ أو فكرة أو جماعة، وغير ذلك من التصنيفات الاجتماعية ,أو السياسية, أو حتى الدينية، ويزداد الأمر سوءًا حين يكون الطرف المنحاز له على خطأ ظاهر أو باطن كأن تكون كلمة حق أُريد بها باطل.

الانحياز يكون سُمّا زُعافا عندما ننحاز لنصرة شخصٍ نعلم أنه على خطأ حين يختلف مع الآخر! ونُصر على سلامة موقفه, والتعزيز له لعدة اعتبارات إما تحاشيا لسلطته, أو سطوته, أو مداراة لمشاعره, وأحيانًا افتكاكا منه.

الانحياز يكون ظلما وزورا وتعديا حين نُشيد بجماعة نعلم أنهم على ضلال بيّن وواضح, ونتجاهل أثر ذلك الضلال على القيم والثوابت!

الانحياز يكون تغريرًا وتضليلا بجاهل يرى أنه مُحق وغيره على باطل, وهو في قرارة نفسه يعلم أنه سادرًا في جهله وغروره وضلاله!

كما أن من الانحياز ماهو ممقوت, فهناك انحياز محمود، بلا مبالغة ولا تعصب، كالانحياز للمبادئ السليمة والتي لا يختلف عليها اثنان لحفاظها على الحقوق والواجبات.

والانحياز للجمال بكافة صوره فيما خلق الله كأن نتفق على جمال الورد ونختلف على تقبل لونه فأنا أعشق الأبيض وأنت تميل للأحمر وهكذا.

العجيب في أمر المُنحاز أنه لا يعلم أن أهم سبب لانحيازه ضعف شخصيته أحيانا، وأحيانا شماتة في المُنحاز ضده، وقد يكون عدوانية وسلطوية منه!

ومن المؤسف أن يشيع التحيّز الممقوت بصورة واضحة وبيّنة في المجتمعات المتقدمة, وكذلك الأقل تقدما حتى أصبحت الجماعات تقاد كالقطعان، فلا تفكير منطقي يعيدها إلى جادة الصواب ولا عقل يحدّد مسار تعاطيها الصحيح مع المواقف المختلفة! أو أن يمتلك شخصية سوية قادرة على التمييز بين الخطأ والصواب ..

إذن :

الانحياز أو التحيز كـوجهَي عملـة أيّمـا قلبتهـا وجـدت مـا يناسبك وما لا يناسبك.

فأيها تختار لتدفع ضريبة خيارك؟!

تـأملات خمسينية

في جلسة أشبه مـا تكـون فضفضـة للـنفس بصـوت مرتفـع قالت لي:

وماذا بعد ؟

تخطيت الخمسين وهرولة الأيام لا تتوقف!

لم أكن أخشى تقدم السنّ حتى حفرت الأيام أخاديدها على قسماتي كشاهد على توديع ربيع العمر..

التفتّ للخلف أبحـث عـن عقـد مـن الأمـاني نظمتـه علـى مهل..

أمنيـات صـغيرة كـأحلام الصـغار رأيتهـا تقبـل مبتسـمة, كشمس تـأتي بعـد رحيـلِ غمامـات بيضـاء رقيقـة غمـرت الأرض بحبات المطر، أمنيـات صـغيرة تجسـدت واقعًـا بعـد حلم..

أما الأمنيـات الكـبيرة لازالـت معلقـة كقناديـل بـلا سـقف تتشبث به حتى إشعار آخر ..

تجري الأيام والسنة تجرّ خلفها سنوات, كنت أرقب الصغار لعلهم يكبرون وهاهم يتزملون أجسادا تفوق جسدي طولا وعرضا أين كانوا وكيف أصبحوا؟!

لولا بقية من إدارك لظننت أنهم ما كانوا هنا قبل خريف العمر!

أحدهم مطأطيء رأسه لا يكاد يحس بي لانشغاله بما هو أهم في نظره ..

والأخرى تلقي تحية على عجل لا تنتظر ردًّا عليها فوقتها أثمن من أن تضيع منه ثوان لي!

يا إلهي ماذا يحدث؟!

أي عنوان أختاره لقصة أيامي؟

بل أي نهاية لهذه الرواية المتكررة والمختلفة التفاصيل؟

سنوات العمر وفلسفة الأيام تكاد تكون معضلة مستعصية على الفهم! فلا أنا متمسكة بالماضي, ولا متعايشة مع الحاضر, ولا مستوعبة للمستقبل!

تمضي بعض سويعات يومي في وجود تغيّر ما, كماء بين أصابعي لا أكاد استبقيه إلا وجفاف حل بها!

وبعضها تجثم على صدري أتمنى لو تتزحزح, تخنقني الثواني التفت للخلف أتفقد ما كان وكأنه محسوس فأجده ما هو إلا أطيافا تتمايل في أروقة الذاكرة!

أين حلمي ذات إشراقة شمس؟

أين توارت أمنية ال ٢٥ ربيعا؟

بل أين أنا في أربعة من العقود طويتها سبقها عقد طفولي عبثي بريء؟

تأملاتي تزيدني وهنًا وشجنًا, وصرخات داخلية تكاد تمزقني, وتبعثرني, وتذروني أدراج الرياح ثم ماذا؟

لا شيء لا شيء على الإطلاق ..

روح أسقيتها حب الحياة فقط فماتت كمدا!

هذا ما كان يخيّل إليّ وكاد أن يرسم لي خط سير آخره هاوية!

الحياة ليست إلا كما نصورها لأنفسنا, بل كما نريدها نحن لا كما يريدها الآخرون, لاسيما من يعشق الإحباط ويحيا التقوقع يخشى الضوء..

يجب عليّ أن أنهض وأنفض ما علق بروحي من وهم, سأشرع النوافذ وأعانق خيوط الشمس, لأعلو وأرتفع وأصل عنان السماء, فلدي قرآن عظيم ولدي روح متوثبة, ولدي إيمان عميق, وحسن ظن بالله ..

التقدم في العمر سنة الحياة وليست النهاية, بل آن لي أن أرى نفسي لا غيرها, أعيد تربيتها, وتهذيبها, وتأنقها, وجمالها, نعم للحياة الجميلة فما بعد الخمسين إلا راحة وعيش سعيد.

قلب وعقل وعلاقات

ميّز الله تبارك وتعالى الإنسان بالعقل فجعله مدركا لما يمكّنه من الحياة, سعيدا وبسلام مع نفسه ووسطه الذي يعيش فيه, نائيا بذاته عن المخاطر والأوجاع.

كما أكمل خلقه بقلب يشعر ويستشعر, ويحب ويكره, ويُبعد وينتقي.

هذا المخلوق (الإنسان) لا يستطيع وإن حاول أن ينتبذ لنفسه مكانا قصيّا أن يعيش وحيدا بشكل دائم, فهو مخلوق اجتماعي بطبعه يعيش في مجتمع يؤثر فيه ويتأثر به.

أنت كإنسان تواجه طيلة حياتك العديد من أنواع البشر منهم الحساس, والعصبي, واللطيف, والطيب, والحقود, والمرتبك, والواثق, والنقي, والمراوغ و و و ...

وتتشكل علاقاتك بهم بناء على ما تراه منهم, علما أن الحكم المسبق على الأشخاص, وبناء على ما نسمعه من غيرهم حكم جائر ومتسرع وغير منطقي! إذْ أن لكل شخص ظروفه وأسبابه, والأهم أن الطرف الآخر المغيّب لم يمنح الفرصة للدفاع عن نفسه وتوضيح وجهة نظره!

المؤلم في العلاقات أن تبنى على المصالح وهذا للأسف شائع!

فصاحب هذا الخُلق شخص انتهازي وأناني, فلا يرى الا بعين واحدة هي مصلحته فقط! غير آبهٍ بك كشخص وثقت به أو ساندته! فبمجرد حصوله على مبتغاه يتخلى عنك ليبحث عن آخر يستفيد منه!

وليت الأمر يقف عند هذا الحد, بل قد ينكر فضلك ويتنكر لك, فلا يعيرك أدنى اهتمام! وهو الذي بالأمس كان يفرش لك الطرقات حريرا بعذب الكلام, وقلبك الطيب سادرا في التصديق ولا عزاء له.

ليأتي العقل ويوقظ إحساسك المغيّب بمزاجك أن (كفى) فهو لا يستحق ..

وتعود أدراجك بأقل الخسائر, شخص باهت الطباع لا بأس في غيبته طويلا ..

لستَ مضطرا أن تبقيه في ذاكرتك, فهناك من هو أولى بالمساندة والرعاية ..

ارحل بقلبك حيث الأمان, وحيث النقاء إذ لا أمان مع نرجسي لا يرى إلا نفسه .

رغيف البسطاء

الكتابة.. رغيف حياة يقتاتها البسطاء.
يتنفسون من خلالها..
تُراق قطرات مدادهم من رحم معاناة يعيشونها..
يعجنون آلامهم بأحرف تتوسد بياض الورق, فيسطرون أصدق حديث لا تنطقه الشفاه..
الكتابة.. مهنة البسطاء الذين لم تجردهم الرفاهية من إنسانيتهم وأحاسيسهم, كما هي حال المترفين بالحبور والذين يمتهنون الكتابة كما لو كانت رداء فخر يتباهون به!
الكتابة.. حينما تأتي من تلافيف ذاكرة أنهكها البؤس, وعجنها الألم والتعاسة, لتجسد أفكار يستمتع بها القارئ, فيبتسم ربما على جرح لم يُجرب مرارته, ويُعجب بعبارةٍ كتبت بالدماء!
الكتابة.. سلعة للمطحونين على نواصي الشوارع، الهائمون في طرقات المدينة, إن لم تحملهم أقدامهم حملتهم خيالاتهم!
يعرضون أوجاعهم وشيئا من فرحٍ للعابرين, فلربما افترّ ثغر

عن بسمة مواساة, أو امتدت كف لتربت على كتف مثقل بالهم..

الكتابة.. علاج يستطعمه مرضى الحزن, ويطيب لهم صفّ الحروف, ونسج العبارات, وبناء الجُمل, بما يجعل النسيان يتسلّل إلى أعماقهم, ويجزّ جذور الحزن لكي لا يعود مرة أخرى..

كما يتخذها المترفون زهوا ووهجا, يضيف لهم بريقا قد لا تستطيعه أموالهم ووجاهتهم!

الكتابة.. محرّض للروح أن تتمدد, وللفكر أن يبسط نفوذه على أنامل مُلهم فيبدع لنفسه, ويُمتع غيره..

البس شوزك

البس شوزك, بنروح السكول، أنت نو قود, بنطلع هـاوس قراند مذر ....

ومثل هذا كثير ..

عبارات تصدح بها النساء مع صـغارهن ليـل نهـار, وأمـام الجمـع مـن النـاس في اسـتعراض مـثير للشـفقة علـى فكـر تحمله!

مشاهد بتنا نلاحظها يوميا وعلى مدار الساعة في الأسـواق, وصالات الانتظار, ولعلها لا تكون في المدارس.

ألا يكفـي أن تُـذبح لغتنـا في منازلنـا مـن الوريـد للوريـد, وتكسّر بلا رحمة بألسنة شعوب شرق أسيا؟!

عجيب أمر بعض الناس الذين يظنون أن التمـدُّن يتمثـل في الانسلاخ من هويتهم الوطنية, ناهيك عـن اعتـزازهم بلغـة دينهم الإسلامي الحنيف!

هـل أتقـن صـغارنا لغـتهم الأم, لغـة القـرآن اللغـة الغنيـة بالمفردات حتى نبدأ تلقينهم لغة أخرى؟

إنه التهميش المستفزّ للغتنا العربية الجميلة.

أخشى على أطفالنا من الازدواجيـة المقيتـه, فمـا بـين لغـة جميلة مهملة, إلى لغات دخيلة, أو لغة مكسـرة لا محـل لهـا من الإعراب! والفضل في ذلك للخدم والسـائقين وأمهـات غافلات.

وحينما أركز في حديثي على الأم فيما يحدث, فليس معنـى هذا إعفاء الآباء من المسـؤولية, ولكـن الأم تتحمـل بنسـبة أكبر لكونها الملازمة للطفل وللخادمة.

همسة في آذان الأمهات:

لـيس مـا تفعلينـه تحضّـر, بـل هـو شـعور بـالنقص, واستعراض غير مقبول.

عزّزي في طفلك شعور الفخر بلغته الأصلية.

نحن لا نعيب ولا نمنع تعلم اللغات الأخرى, ولكـن نعيـب أن تُستبدل اللغة الأصلية للطفل بلغة أخرى حتى أصـبحت لغته العربية اللغة الثانية!

ثم إن مُمارستها التلقين بهذه المحادثات النصفية (عربي انجليزي) وفي أماكن التسوق, أو المستشفيات, أو المطاعم, أو حتى المنزل, طريقة استفزازية واستعراضية, وإلا تعلم لغات جديدة ليست بهذه الطريقة الممجوجة.

نتمنى أن نسمع يوما ما من يحدّث صغاره بلغة عربية سليمة فهل يستعصي علينا تحقيق الأماني؟!

عزلة افتراضية

دعونا نبحر في عالم افتراضي نصنعه لأنفسنا ننفصل فيه عن الواقع للحظات..

فهل ننساق خلف أحلام يقظتنا ؟

هل سنصمد أمام المغريات ونرفض أفكارنا الخيالية التي قد تبدو مجنونة, ونستبدل بها الواقع ونتعايش معها ؟

سنطرح فكرة افتراضية قد تبدو غريبة بعض الشيء نستشرف من خلالها واقعنا المُعاش, ونحكم من خلاله على قدرتنا على التغيير الإيجابي لنظامنا الحياتي ويومياتنا وقناعاتنا وأفكارنا..

ماذا لو أدمى قلبك الألم ؟
وتسلّل إلى روحك الوهن ؟
وضرب الهم أطنابه في عمق سكونك فالتفت يمينا فلم تجد إلا فراغا لا يصل إليه بصرك ! وأدرت بصرك نحو الشمال فارتد إليك عاجزا عن استيعاب مكوّنه، فتظاهرت باللامبالاة ومرّرت إلى نفسك أن ((لا شيء يستحق))

ثم نقلتك خطواتك بلا وعي إلى أريكة عتيقة في غرفة خالية إلا من صوت خطواتك وتنفُسك, يلفها الصمت الرهيب, علقت على جدرانها لوحات مختلفة الرسومات فما بين خطوط متوازية إلى زهرة تساقط ثلثي بتلاتها وبين عينين تحدقان في الفراغ بلا معنى !

وبلا وعي منك أسقطتَ نفسك طواعية على تلك الأريكة الجامدة ودخلت في سبات عميق فلا تدري كم مضى عليك من الوقت, وفجأة تستيقظ تحدق في غرفة غريبة ليست لك تغمض عينيك لوهلة وتعود لتفتحها لتستوعب أين أنت ؟

ومنذ متى وأنت هنا؟ وكيف وصلت إلى هنا ؟

أنت الآن في عزلة عن الناس وعن كل المؤثرات الخارجية ليس معك إلا الله ثم نفسك وما يحتويه محيط هذه الغرفة الصماء !

هل ستحاول أن تخرج لترى أين أنت ؟

أم قد تمتد يدك داخل جيب سترتك لتتفقد جهازك الذكي الذي لا يوجد معك أصلا ؟

من أول شخص خطر ببالك تبادر إليه وتحدثه أو تستنجد به؟

هل ستتنحى جانبا وتسند خدك على كفك في استسلام عجيب وتقنع نفسك أن هذه اللحظة عزلة روحية تعيد فيها ترتيب أفكارك المشوشة ؟

أم أن شعور الخوف والرعب سيثبتان وجودهما في وجدانك فتبدأ تذرع الغرفة الغريبة جيئة وذهابا تطرق الباب المغلق ترفع صوتك لعل أحدهم يسمعك ؟

أحيانا كثيرة نحتاج أن نلجأ إلى العزلة بكافة أنواعها عزلة روحية, وعزلة عن الناس والعالم, وحتى عن الأجهزة نتمنى لو سافرنا بعيدا بأرواحنا حتى وإن ظلّت أجسادنا متشبثة بالأرض التي ندرج عليها، العزلة والسفر الروحي متعة حين نوجهها باحترافية عالية لكنها مزعجة تماما حين تفرض علينا فرضا إجباريا لا خيار لنا فيه إذ قد تقتات مخاوفنا واضطراباتنا النفسية, وأوهامنا على ما ضعف من أعصابنا وهشاشة قوانا النفسية..

جرّب أن تعيش العزلة بمحض إرادتك, فهي فرصة لقياس قدرتك النفسية والعصبية والذهنية على التحمل, واعادة ترتيب الأولويات في حياتك, وربما أيضا فتحت أمامك نوافذ للتصحيح وتعديل مسارات لم تكن راض عنها، كما أن في العزلة الاختيارية فرصة للمحاسبة الذاتية والتي نغفل عنها في خضم ضجيج الحياة وتسارعها.

أنت بعد الرحيل

خُلقنا نحب الجمال، ونسعى للكمال، نلهث نصنع لأنفسنا هالة مذهلة لا يشاركنا بها أحد، أغلبنا يهتم جدا لمظهره الخارجي، فيُوليه جلّ اهتمامه، ينتقي أجمل الثياب وأنفسها، ويُسابق الآخرين في العثور على أطيب العطور وأزكاها، وحين تراه يتحدث لا يكتفي بما لديه من مخزون لغوي فيزحف على مفرداتٍ غربية يدخلها ضمن أحاديثه وإن لم يكن مكانها ليبدو مثقفا !

تراه دائما أنيقا ولكنه متكلف في كل شيء، لتبدأ أسئلة عريضة بينك وبين نفسك..

هل هذا يفتقد للثقة حتى يلجأ للتكلف ؟!
أم هي أناقة مزيفة ؟
الجمال يا سادة داخلي جمال روح، لباقة حوار، أناقة في التعاطي مع كل شيء، آثار تبقى، وأثر لا يزول..

الجمال أن تتحدث فينصت الجميع إعجابا، وتصمت فتزداد هيبة ووقارا..

الجمال نقش على رمل ندي بما تفعله من أعمال خفيه، تتوارى عن الأضواء تواضعا، تنكر ذاتك ليرتفع غيرك إيثارا..

الجمال كلّ الجمال أن ترحل وتبقى حيًّا في قلوب الآخرين ذكرك عطرا، وسيرتك لا تزول بالتقادم، فما قدمته من خير يشفع لك أن تكون الحاضر ذكرا الغائب جسدا، ولعل لنا في عين زبيدة أحد أهم أوقاف المسلمين، تلك العين التي أنشأتها زبيدة بنت الفضل بن أبي جعفر المنصور وزوجة هارون الرشيد لسقيا الحجاج ولا زالت معالمها وإن اهترأت قائمة حتى يومنا هذا شاهدا حيّا على قيمة الأثر الحسن..

الجمال يا سادة أن تتطلع لمن يفوقك جمالا معنويا آسرا فتحتذي به، لا أن تنسلخ من هويتك اقتداء بوضيع أو تافه حتى وإن بلغت شهرته الآفاق..

الجمال أن لا ترقص على جراح أحدهم شماتة فينجو وتسقط أنت في وحل ما تشمت به !

الجمال أن تبْرع في تقديم نفسك بلا تزييف أو تحريف أنت كما أنت بفطرتك السليمة وبساطتك وعفويتك..

الجمال أن تكون قدوتك شخصيات خلّد التاريخ ذكرها ولم تسعَ هي إلى ذلك ولو حبوا، بل كانت تعمل دون أن تلتفت للخلف وما علمت أن أثرها وإن كان على رمل نديّ باقٍ عنوان للجمال.

كما ولجنا بالحرف.. ها نحن نهمّ بالخروج

ولدينا آمال عريضة أن تؤتي حروفنا أُكلها

قاسمناكم تفاصيل المشاعر المخبأة

حتى وإن تباينت أنواعها وأحجامها .

فيض وُدّ لكلّ من صافح الحرف مُقلته

المحتويات

الموضوع	الصفحة
أَحْلامٌ قَيْدَ الاِنْتِظَار	٧
دَقِيقَةُ صَمْت	١٠
النّاسُ والحَيَاة	١٣
الهَزِيمَةُ النّفْسِيّة	١٦
تَجَاوُز اللحْظَة	١٩
كُنْ سُكّرًا	٢١
الإِيحَاءُ النّفْسِي	٢٥
تَحَدَّثْ بالصّمْت	٢٩
شَيْءٌ مِنْ خَيَال	٣٢
الذّاكِرَة	٣٤
مَآثِرُ وَمَثَالِب	٣٧
البَيْنُ وَبَيْن	٤١
العَصْرُ الْـعَصَبِي	٤٤
مَنْ أَنْتَ فِيْهِم؟؟	٤٧
اِكْتَشِفْ نَفْسَك	٥٠

لِتَبْقَى بَسَاطَتُنَا.....٥٣
أَقْلامٌ.....٥٦
خُطُوَاتٌ وَاسِعَة.....٦٠
إِلَى أَعْماق أَحَدِهِمْ.....٦٢
احْتِرَامُ العُقُول.....٦٥
اِقْرَأ نَفْسَك.....٦٨
أُمّي وَالعِيد.....٧١
الجَيْشُ الأَبْيَض! ٧٤
أَسْرَى العَادَات.....٧٧
الخَوْف.....٨٠
التّافِهُون.....٨٣
الرّحِيل.....٨٦
الفَايْرُوس.....٨٩
عَقْلٌ قَابِلٌ للتّحْدِيث.....٩٢
أَتَسْمَعُنِي؟!.....٩٥
الدّيمُوقْرَاطِيّةُ بَيْنَ الاخْتِيَارِ والتّخْيير.....٩٨
تُوِيتَرْ سَاحَةُ قِصَاص.....١٠١

الاسْتِثْنَائِيُّون.....١٠٤
كُلّ انْحِيَازٍ مَمْقُوت.....١٠٧
تَأَمُّلَاتُ خَمْسِينِيّة.....١١٠
قَلْبٌ وَعَقْلٌ وَعَلاقَات.....١١٤
رَغِيفُ البُسَطَاء.....١١٦
البَسْ شُوزَك.....١١٨
عُزْلَةٌ افْتِرَاضِيّة.....١٢١
أنتَ بَعْدَ الرّحِيل.....١٢٥